دراسات في السنة المطهرة

الأربعون في التبسم والضحك

جمع وترتيب
عطاء الله بن عبد الغفار بن فيض
أبو مطيع السندي

منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها أشرف حجازي

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م



دار تراثية للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي وتصدير واستيراد الكتب
القاهرة : ٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين - تليفون ٣٩٠٠٣١٨
فاكس : ٣٩٢٦٢٥٠ - تلكس : TLTHRB UN٢١٧١٩ - ص.ب ١٢٨٩ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد! فهذه أربعون خبرًا في التبسم والضحك، قد جمعتُها من كتب السنة المطهرة، وأغلبيتها بمثابة قصة أو حكاية، والقصد من ذلك جمع مثل هذا في وريقات ليسهل على من يريد قراءته والاستفادة منه، حيث لا يأخذ وقتًا طويلاً في القراءة، وهو مفيدٌ لكل طبقة. وحاولت أن أذكر في هذا ما صحّ عنه ﷺ، مع ذكر بعض الفوائد، ولم أذكر ما لم يصح كحديث الأعرابى الذى ذكره الغزالي [1]، قال: جاء أعرابى يومًا وهو ﷺ متغير اللون ينكره أصحابه، فأراد أن يسأله، فقالوا: لا تفعل يا أعرابى فإنّا ننكرُ لونه فقال: دعونى، فوالذى بعثه بالحق نبيًا لا أدعه حتى يبتسم، فقال: يا رسول الله، بلغنا أن المسيح - يعنى الدّجّال - يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعًا، أفترى لي - بأبى وأمي - أنْ أكفّ عن ثريده تعففًا وتنزهًا حتى أهلك هزالاً أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلّعتُ شبعًا آمنتُ بالله وكفرتُ به؟! قالوا: فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدتْ نواجذه، ثم قال: « بل يغنيك الله بما أغنى المؤمنين » .

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ٢ / ٣٦٨ .

قال الحافظ العراقي [1] : وهو حديث منكر لم أقف له على أصل .

وهذه الأحاديث تشتمل على ضحكه ﷺ أو تبسمه، وقد توجد أحاديث أخرى فيها تبسمه أو ضحكه، إلاّ أننى اكتفيتُ بالأربعين فقط.

ونُقَسِّمُ هذه الأربعين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : أخبار أخبر بها ﷺ فضحك .

القسم الثانى : أمور حصلت بين يديه ﷺ أو سُئل عنها فضحك .

القسم الثالث : أخبار مغيّبة أخبر بها ﷺ وضحك فيها .

* والتبسم : مبادئ الضحك، والضحك : انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بُعْد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم .

** وأسباب التبسم والضحك مختلفة؛ لكن أكثرها للتعجب، وبعضها للإعجاب، وبعضها للملاطفة، وبعضها للبشارة، وغير ذلك. والضحك من غير عجب من الجهل، كما قال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين : لا تأخذوا ممن تُعلمون من الأجر إلاّ مثل الذى أعطيتمونى، ويا ملح الأرض لا تفسدوا فإن كل شيء إذا فسد فإنها تداوى بالملح وأن الملح إذا فسد فليس له دواء، واعلموا أن فيكم خصلتين من الجهل : الضحك من غير عجب والصبحة (أى نومة الصبح) من غير سهر [2].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ: ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [القلم: ٤] وكان من خلقه ﷺ التبسم وإظهار السرور والبشاشة.

قال عبد الله بن الحارث بن جَزْء رضى الله عنه صاحب النبي ﷺ : «ما

---

(١) المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار المطبوع على حاشية الإحياء ٢/ ٣٦٨.

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٩٦.

رأيت أحدًا كان أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ »[١].

وقال جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه: « ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، و لا رآنى إلا ضحك»[٢].

وإذا بشر ببشارة يبرق وجهه حتى كأنه قطعة قمر .

وقال سماك: قلتُ لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فكان طويل الصّمت قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياء من أمورهم فيضحكون وربما تبسم[٣].

وقال أنس: جاء أبو طلحة يوم حنين يُضحك رسول الله ﷺ من أم سليم، قال: يا رسول الله! ألم ترَ إلى أم سليم معها خنجر؟! فقال لها رسول الله ﷺ: «ما تصنعين به يا أم سليم؟!» قالت: أردت إنْ دنا منى أحدٌ منهم طعنتُه به[٤].

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنّما كان يبتسم[٥].

وقال أبو هريرة رضى الله عنه ـ كما في حديث مَنْ واقع امرأته في نهار رمضان- :فضحك النبّي ﷺ حتى بدت نواجذه[٦].

ولا منافاة بينهما؛ لأن المُثبت مقدم على النافي ـ قاله ابن بطال ـ. وأقوى منه أن الذى نفته غير الذى أثبته ـ قاله الحافظ ـ [٧].

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٤ / ١٩٠ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه (فتح الباري ٧ / ١٣١).

(٣) مسند أحمد : ٥ / ٨٦ .

(٤) مسند أحمد : ٣ / ١١٢ ، ١٩٨ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب الأدب، باب التبسم والضحك (فتح الباري ١٠ / ٥٠٤).

(٦) المصدر السابق .

(٧) فتح الباري : ١٠ / ٥٠٥.

قلت : لعل عائشة رضى الله عنهـا لم تر رسول الله ﷺ ضاحكًا، أو نَسِيَتْ، أو تريد أنه ﷺ لم يضـحك حتى ترى منه لهـواته، وقد روت ـ كـما في رضـاعة الكبـير ـ: فـضحك رسـول الله ﷺ . وفي حديث الإفك: قـالت : فسـرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك. وفي حـديث السباق قالت: فسبقنى فـجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك». وفي حديث أبى رافع قالت : فجعل يضحك.

فيظهـر من هذا ـ والله أعلم ـ أنها تريد الاحتـمال الثالث. ويؤيد هذا مـا جاء في حديث هند بن أبى هالة الطويل، وفيه: جل ضحكه التبسم.

والذى يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبـسم، وربما زاد على ذلك فضـحك. والمكروه من ذلك إنّما هو الإكـثار منه أو الإفراط فيـه، لأنه يذهب الوقار. قال ابن بطال : والذى ينبغـى أنْ يقتدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك، فقـد روى البخارى في الأدب المفرد وابن ماجة من وجهين عن أبى هريرة رضى الله عنه رفـعه: « لاتكثر الضحك فإن كـثرة الضحك تميت القلب »[1].

وأخـيرًا أسـألُ الله عز وجل أن يجـعله خالـصًا لوجهـه الكريم وأن ينفع به. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه
عطاء الله بن عبد الغفار كوريجو
أبو مطيع السندي

مكة المكرمة
حي الشامية ـ جبل قرن
٢٧ / ذى الحجة ١٤١٣هـ

(١) فتح الباري : ١٠ / ٥٠٥ .

■ القسم الأول ■

(١) قصة نعيمان وسويبط رضي الله عنهما

عن أم سلمة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى قبلَ موت النبي ﷺ بعامٍ ومعه نُعيمان وسُويبطُ بن حرملة وكانا شهدا بدرًا، وكان نُعيمان على الزّادِ وكان سُويبط رجلاً مزّاحًا، فقال لنُعيمان: أطعمني. قال: حتى يجيء أبو بكر. قال: فلأُغيظنكَ. قال: فمروا بقوم، فقال لهم سُويبط: تشترون منّى عبدًا لي؟ قالوا: نعم. قال: إنّه عبدٌ له كلام، وهو قائلٌ لكم: «إنّى حُرٌّ» فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموهُ فلا تفسدوا علىّ عبدى. قالوا: لا، بل نشتريه منك. فاشتروه منه بعشر قلائص[1]، ثم أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلاً ! فقال نُعيمان: إنّ هذا يستهزىءُ بكم وإنّى حرٌّ لستُ بعبد!!! فقالوا: قد أخبرنا خبرك. فانطلقوا به، فجاء أبو بكر، فأخبروه بذلك، قال: فاتّبع القوم وردّ عليهم القلائص وأخذ نعيمان. قال: فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه، قال: فضحك النبي ﷺ وأصحابه منه حولاً ![2].

وفي رواية : أن أبا بكر خرج تاجرًا إلى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة، وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نُعيمان فقال: أطعمنى. فقال: لا، حتى يأتى أبو بكر. وكان نعيمان رجلاً مضحاكًا مزاحًا، فقال: لأغيظنك. فذهب إلى أناس جلبوا ظهرًا، فقال: ابتاعوا منى غلامًا عربيًا فارهًا، وهو ذُو لسان؛ ولعله يقول: « أنا حُرٌّ » فإن كنتم تاركيه لِذلك فدعوني لا تفسدوا

---

(١) نوق.

(٢) سنن ابن ماجة : الأدب، باب المزاح : ٢ / ١٢٢٥ .

عليَّ غلامي. فقالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال للقوم: دونكم هو هذا. فجاء القوم فقالوا: قد اشتريناك، قال سويبط: هو كاذب !!! أنا رجل حر! فقالوا: قد أخبرنا خبرك. وطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر فأخبر فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه، فضحك منها النبي ﷺ وأصحابه حولاً [1].

قلتُ: ويدلُّ على أنه نُعيمان لا سويبط ما يأتي :

- قال الزبير بن بكار: وكان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى النبي ﷺ فيقولُ: ها أهديتُهُ لك، فإذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمنها أحضره إلى النبي ﷺ وقال: أعْط هذا ثمن متاعه. فيقول: «أولم تهده لي؟!» فيقول: إنه والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببتُ أن تأكله. فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه [2].

ـ وأخرج الزبير قصة البعير بسياق آخر من طريق ربيعة بن عثمان، قال: دخل أعرابي على النبي ﷺ وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض الصحابة للنعيمان الأنصاري: لو عقرتَها فأكلناها فإنا قد قرمنا إلى اللّحم! ففعل، فخرج الأعرابي وصاح: واعقراه !! يا محمد فخرج النبي ﷺ فقال: «منْ فعل هذا؟!» فقالوا: النعيمان. فاتبعه يسألُ عنه حتى وجده قد دخل في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واستخفى تحت سرب لها فوقه جريدٌ، فأشار رجلٌ إلى النبي ﷺ حيث هُوَ، فأخرجه، فقال له: «ما حملك على ما صنعتَ؟» قال: الذين دلوك عليَّ يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك! قال: فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك!! ثم غرمها للأعرابي[3].

* * *

(١) مسند أحمد : ٦ /٣١٦ وانظر مشكل الآثار : ٢/ ٢٤٢ .

(٢ ـ ٣) الإصابة : ٣ / ٥٧٠ .

(٢) الرقية على اللديغ

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ في سَفْرةٍ سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيّفُوهم، فلدغ سيّد ذلك الحيّ، فسعوا له بكلِّ شيءٍ، لا ينفعُه شيء. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهْط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيءٌ. فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهْط، إنّ سيدنا لُدغ وسعينا لهُ بكلِّ شيء؛ لا ينفعُه! فهل عند أحدٍ منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتّى تجعلوا لنا جُعلاً. فصالحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ فكأنما نُشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَة[1]. قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «وما يُدريك أنها رُقية؟» ثم قال: «قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهمًا». فضحك النبي ﷺ [2].

- في الحديث جواز الرقية بكتاب الله عز وجل، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور.

- مشروعية الضيافة.

---

(١) أي: علة.

(٢) صحيح البخاري: الإجارة، باب ١٦ - مايعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب (فتح الباري ٤ / ٤٥٣).

- الاشتراك في الموهوب إذا كان أصله معلومًا.

- جواز طلب الهدية ممن يعلم رغبته في ذلك وإجابته إليه.

- أن الرزق المقسوم لا يستطيع من هو في يده منعه ممن قسم له: لأن أولئك منعوا الضيافة وكان الله قسم للصحابة في مالهم نصيبًا فمنعوهم فسبّب لهم لدغ العقرب حتى سيق لهم ما قسم لهم [1].

* * *

(١) راجع فتح الباري ٤ / ٤٥٧ .

(٣) ما ذكر في التيمم

عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قـال: لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسـل، قال: احتلمـتُ في ليلةٍ باردة شديدةُ البـرد فأشـفقتُ إن اغتـسلتُ أنْ أهلك، فتيممتُ ثم صليتُ بأصحابى صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرتُ ذلك له، فقال:«يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال: قلتُ: نعم يا رسول الله إنى احتلمتُ في ليلة باردة شديدة البـرد فأشفقتُ إن اغتسلتُ أنْ أهلك وذكرتُ قـول الله عز وجل ﴿ ولاَتَقْتُلوا أنْفـسكُم إن الله كانَ بِكُمْ رحـيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] فتيممتُ ثم صليتُ. فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا (١).

وقال شقيق كنتُ قـاعدًا مع عبد الله وأبى موسى الأشعـري، فقال أبو موسى لعبد الله: لو أن رجلاً لم يجد الماء لم يصل؟ فقال عبد الله: لا. فقال أبو موسى: أمـا تذكر إذْ قـال عمـار لِعمـر: ألا تذكـر إذْ بعثنى رسـول الله ﷺ وإياك في إبل فأصابتنى جنابة فتمرغتُ في الترابِ، فلما رجعتُ إلى رسول الله ﷺ أخبرتهُ فضحك رسول الله ﷺ وقال: « إنما كان يكفيك أن تقول هكذا ـ وضرب بكفيه إلى الأرض ثم مسح كفيه جميعًا ومسح وجهه مسحة واحدة. بضربة واحدة». فقال عبد الله: لا جرم ما رأيت عمر قنع بذلك. قـال: فقال له أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة النساء: ﴿ فَلَمْ تَجدوا ماءً فـتيمموُا صعـيدًا طيبًا ﴾ [النساء: ٤٣]. قال فما درى عبـد الله ما يقول، وقال: لـو رخصنا لهم في التيـمم لأوشك أحدُهُمْ إنْ برد الماءُ على جلدهِ أن يتيمم (٢).

---

(١) مسند أحمد: ٤/ ٢٠٤، وسنن أبي داود: الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد يتيمم (عون المعبود ١ /١٣٢).

(٢) مسند أحمـد: ٤ / ٢٦٥، وانظر صحيح البخـاري : التيمم، باب ـ ٧ ـ إذا خاف الجنب على نفسـه (فتح الباري ١ / ٤٥٤).

وعن أبي قلابة عن رجل من بني عامر قال: كنتُ كافرًا فهداني الله للإسلام، وكنت أعزب عن الماء ومعي أهلي فتصيبني الجنابة، فوقع ذلك في نفسي وقد نُعت لي أبو ذر فحججتُ فدخلت مسجد منى فعرفتُه بالنعت فإذا شيخٌ معروفٌ آدمٌ عليه حلةٌ قطريٌّ، فذهبتُ حتى قمتُ إلى جنبه وهو يُصلي فسلمتُ عليه فلم يرد عليَّ، ثم صلى صلاة أتمها وأحسنها وأطولها فلما فرغ ردّ عليَّ، قلتُ: أنت أبوذر؟ قال: إنّ أهلي ليزعمون ذلك. قال كنتُ كافرًا فهداني الله للإسلام وأهمني ديني وكنتُ أعزبُ عن الماء ومعي أهلي فتصيبني الجنابة فوقع ذلك في نفسي. قال: هل تعرف أبا ذر؟ قلتُ: نعم. فإني اجتويتُ المدينة ـ قال أيوب: أو كلمة نحوها ـ فأمر لي رسول الله ﷺ بذودٍ من إبل وغنم، فكنتُ أكون فيها فكنت أعزب عن الماء ومعي أهلي فتصيبني الجنابة فوقع في نفسي إنّي قد هلكتُ، فقعدتُ على بعير منها فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ نصف النهار وهو جالسٌ في ظل المسجد في نفرٍ من أصحابه، فنزلتُ عن البعير وقلتُ: يا رسول الله هلكتُ! قال: « وما أهلكك؟» فحدثته فضحك، فدعا إنسانًا من أهله فجاءت جاريةٌ سوداء، بعيس فيه ماءٌ ما هو بملآن إنه ليتخضخض فاستترتُ بالبعير، فأمر رسول الله ﷺ رجلاً من القوم فسترني، فاغتسلتُ ثم أتيته، فقال: « إن الصعيد الطيب طهورٌ مالم تجد الماءَ ولو إلى عشر حجج، فإذا وجدَت الماء فامس بشرتكَ »[1].

قلتُ: حديث عمرو بن العاص أخرجه البخاري معلقًا[2].

---

(١) مسند أحمد ٥/ ١٤٦.

(٢) صحيح البخاري: التيمم، باب - ٧ - إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت (فتح الباري ٢ / ٤٥٤).

ويذكر أن عـمرو بن العـاص أجـنـب فـي ليلة باردة فتـيـمـم وتلا ﴿ **ولا تقـتـلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ [النساء: ٢٩]. فذكرَ للنبى ﷺ فلم يعّنف .

فلم يعّنف : أى لم يلـم رسول الله ﷺ عـمـرا فكان ذلك تقـريرًا دالاً على الجواز.

وفيه : جواز التـيمم لمن يتوقع من استعمـال الماء الهلاك سواء كان لأجل برد أو غيره.

- جواز صلاة المتيمم بالمتوضئين.

- جواز الاجتهاد في زمن النبى ﷺ (١).

قال السـيوطى: قـوله « احتلمتُ» يـرد بهذا على من يقول من الصوفـية إذا احتلم المـريد أدّبه الشيخ فلا أحـدٌ أتقى وأصلح ولا أورع من الصحابة، وقد ذكر هذا لسيد المرسلين ﷺ فلم يقل له شيئًا، وما عصم من الاحـتلام إلا الأنبياء عليهم السلام » (٢).

* * *

---

(١) راجع فتح الباري : ١ / ٤٥٤ .

(٢) عون المعبود : ١ / ١٣٢ .

(٤) الشركاء يطؤون الأمة في طهر واحد

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: كان عليّ رضى الله عنه باليمن فأتى بامرأة وطئها ثلاثة نفر في طهر واحد، فسأل اثنين أن يُقرا لهذا [١] بالولد فلم يُقِرا، ثم سأل اثنين أن يُقرا لهذا بالولد فلم يقرا، ثم سأل اثنين حتى فرغ يسأل اثنين عن واحد فلم يقرّوا، فأقرع بينهم وألزم الولد الذى خرجت عليه القرعة وجعل عليه ثُلثيْ الدية، فرفع ذلك إلى النبى ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه[٢] .

وفي رواية عنه : قال كنتُ جالسًا عند النبى ﷺ فجاء رجل من اليمن فقال: إن ثلاثة نفر من أهل اليمن أتوا عليًا رضي الله عنه يختصمون إليه في ولد وقد وقعوا على امرأة في طُهر واحد، فقال لاثنين: طيبا بالولد لهذا فغليا [٣]،ثم قال لاثنين: طيبا بالولد لهذا فغليا، ثم قال لاثنين: طيبا بالولد لهذا فغليا. فقال : أنتم شركاء متشاكسون [٤]، إنّى مقرع بينكم فمن قرع فله الولد وعليه لصاحبيه ثلثا الدية. فأقرع بينهم فجعله لمن قرع. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أضراسه أو نواجذه [٥].

* * *

---

(١) أى للثالث .

(٢) مشكل الآثار: ١ /٣٢١ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ /٣٧٣ ، ٣٧٤.

(٣) أي : صاحا.

(٤) متنازعون .

(٥) سنن أبي داود : الطلاق، باب من قال بالقرعة إذا تنازعوا في الولد (عون المعبود ٢/٢٤٨) وانظر ابن ماجة ٢ /٧٨٦.

(٥) ما جاء في مزاح عبد الله بن حذافة السهمي أصحابه

عن أبي سعـيد الخدري رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ استعمل علقـمة بن مجزز المدلجي رضي الله عنه على خيـبر، فبعـث سرية واستعـمل عليها عبـد الله ابن حـذافة السـهمى، وكـان رجلاً فـيه دعـابة وبين أيديهم نار قد أُجـجت فقـال لأصحابه: أليست طاعتى عليكم واجبة؟ قالوا: بلى . قال: فقوموا فاقتحموا هذه النار. فقام رجل حتى يدخلها، فـضحك وقال: إنما كنت ألعب! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فضحـك فـقال: « أما إذ قد فعلوا ذلك فـلا تطيعوهم في معصـية الله عز وجل» [١].

* * *

(١) مشكل الآثار : ٢ / ٢٤٢ .

■ القسم الثانى ■

(٦) قصة امرأة رفاعة القرظى

عن عـائشة أم الـمؤمنين رضـى الله عـنها: أن رفاعة القـُرظي طـلق امرأته فـبت طـلاقها فتـزوجها بعـده عـبد الـرحمن بـن الزبـير، فـجاءت النـبيّ ﷺ فقـالت: يـا رسـول الله إنـها كـانت عنـد رفـاعة فطلّقها ثـلاث تطليقات، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله مـا معـهُ يا رسـول الله الا مثلُ هذه الهـدبة ـ [1] لهدبةٍ أخـذتها من جلبابهـا ـ قال: وأبو بكر جـالس عند النبي ﷺ وابن سـعيـد بن العـاص جالس بـباب الحـجـرة ليؤذن له، فطـفق خالد ينـادى أبا بكر: يا أبا بكر ألاتزجـر هذه عمـا تجهـر به عند رسـول الله ﷺ؟ وما يزيدُ رسـول الله ﷺ على التبسم، ثم قال: « لعلك تريدين أن ترجـعى إلى رفاعة؟ لا. حـتى تذوقى عُسيلته[2] ويذوقُ عُسيلتكِ»[3].

وفي رواية: طلق رجلٌ امرأته فتزوجت زوجًا غيره فطلقها، وكانت معه مثل الهدبة فلم تصل منه إلى شىء تريده، فلم يلبث أن طلقها فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن زوجى طلقنى وإنّى تزوجت زوجًا غيره فدخل بى ولم يكن معه إلا مثل الهدبة

---

(١) الهدبة: بسكون المهـملة بعدها موحـدة مفتوحـة، هو طرف الثوب الذى لمن ينسج وأرادت أن ذكره يشـبه الهدبة في الاستـرخاء وعدم الانتشار. وقـال الداودي: يحتمل تشبيـهها بالهدبة انكسـاره وأنه لا يتحرك وأن شدته لا تشتد ويحتـمل أنها كَنَّتْ لذلك عن نحافته أو وصفته بذلك بالنسـبة للأول، قال: وهكذا يستحب نكاح البكر لأنها تظن الرجال سواء بخلاف الثيب. الفتح ١ / ٢٨٢.

(٢) العسيلة: حلاوة الجماع قال أبو عبيد: لذة الجماع والعرب تسمى كل شىء تستلذه عسلاً، الفتح ١/ ٤٦٧.

(٣) صحيح البخاري: الأدب، باب - ٦٨ - التبسم والضحك (فتح الباري ١٠/٥٠٢).

فلم يقربني إلا هنة [1] واحدة لم يصل منى إلى شيء أفأحل لزوجي الأول؟ فقال رسول الله ﷺ: «لاتحلين لزوجك الأول حتى يذوق الآخر عسيلتك وتذوقى عسيلته»[2].

وفي رواية : عن عكرمة: أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير القرظى، قالت عائشة: وعليها خمارٌ أخضر فشكتْ إليها وأرتها خضرةً بجلدها فلما جاء رسول الله ﷺ - والنساء ينصرُ بعضهن بعضًا قالت عائشة: ما رأيتُ مثل ما يلقى المؤمنات لجلدها أشد خضرةً من ثوبها. قال: وسمع أنها قد أتت رسول الله ﷺ فجاء ومعه اثنان من غيرها. قالت: والله ما لي إليه من ذنب إلا أنّ ما معه ليس بأغنى عنى من هذه وأخذت هدبة من ثوبها. فقال: كذبتْ والله يا رسول الله إنى لأنفضها نفض الأديم ولكنها ناشز تريد رفاعة. فقال رسول الله ﷺ: «فإن كان ذلك لم تحلى له - أو لم تصلحى له - حتى يذوق عسيلتك». قال: وأبصر معه ابنين له فقال: « بنوك هؤلاء؟» قال: نعم. قال: «هذا الذى تزعمين ما تزعمين فوالله لهم أشبه به من الغراب بالغراب» [3].

وفي رواية لأحمد[4]: أن رجلاً طلق امرأته ثلاثًا فتزوجها آخر فطلقها قبل أن يمسها فسئل رسول الله ﷺ الحديث. وتبسمه ﷺ كان تعجبًا منها: إما لتصريحها بما يستحى النساء من التصريح به غالبًا، وإما لضعف عقل النساء لكون الحامل لها على شدة بغضها في الزوج الثاني ومحبتها في الرجوع إلى الزوج الأول [5].

* * *

(١) الهنة بفتح الهاء وتخفيف النون المرة الواحدة الحقيرة.

(٢) صحيح البخاري: الطلاق، باب - ٧ - من قال لامرأته أنت عليَّ حرام (فتح الباري: ٩/ ٣٧١).

(٣) صحيح البخاري: اللباس، باب - ٣٣ - الثياب الخضر (فتح الباري ١٠/ ٢٨١).

(٤) مسند أحمد ٦ / ١٩٣.

(٥) انظر الفتح ١٠ / ٤٦٦.

(٧) ما جاء في رضاعة الكبير

عن عائشـة أم المؤمنين رضى الله عنها : جاءت سـهلة بنت سهيل فـقالت: يا رسول الله إنّى أرى في وجه أبي حذيفـة شـيئًا مـن دخـول سـالم عـليّ فـقـال : « أرضعيه » فقالتْ : كيف أرضعُهُ وهـو رجل كبير؟ فضحك رسول الله ﷺ قال: «ألستُ أعلم أنه رجل كبير»؟ ثم جاءت فقالت: ما رأيتُ في وجه أبي حذيفة شيئًا أكرهه[١].

وفي رواية عنها: قـالت أتتْ سهلة بنت سـهيل بن عمـرو ـ وكانت تحت أبي حذيفة بن عـتبة ـ رسول الله ﷺ فـقالت: إن سالمًا مولى أبي حـذيفة يدخل علينا وأنا فضل، وإنا كنا نراهُ ولدًا وكـان أبو حذيفة تبنّاهُ كمـا تبنى رسول الله ﷺ زيدًا فأنزل الله تعالى: ﴿ **ادعوهُمْ لآبائهم هو أقسطُ عند الله** ﴾ [الأحزاب:٥] فأمرها رسول الله ﷺ عند ذلك أن تُرضِـعَ سالـمًا فأرضَعَته خمس رضعات وكان بمنزلة ولدها من الرضاعة، فبـذلك كانت عائشة تأمر أخواتها وبنات أخـواتها أن يرضعن من أحبتْ عائشة أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيرًا خمس رضعات ثم يدخل عليها، وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليـهن بتلك الرضاعة أحدًا من الناس حتى يرضع في المهد، وقُلنْ لعائشة: والله مـا ندرى لعلها كانتْ رخصة من رسول الله ﷺ لسالم من دون الناس [٢].

وفي رواية عنها : أتت سهلة بنت سهيل رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن سالـمًا كان منا حيث قد علمتَ أنّا كـنا نـعدُّهُ ولدًا، فكان يدخل عليّ كيف شاء

(١) مسند أحمد: ٦ / ٣٩ وصحيح مسلم - الرضاع، باب - ٧ - رضاعة الكبير ٢/ ١٠٧٦.

(٢) مسند أحمد: ٦ / ٢٧١ .

لا نحتشم منه فلما أنزل الله فيه وفي أشباهه ما أنزل أنكرت وجه أبي حذيفة إذا رآه يدخل عليّ. قال: « فأرضعيه عشر رضعات ثم ليدخل عليك كيف شاء فإنما هو ابنك». فكانت عائشة تراها عامًا للمسلمين، وكان من سواها من أزواج النبي ﷺ يرى أنها كانت خاصة لسالم مولى أبي حذيفة الذى ذكرت سهلة من شأنه رخصة له [1].

وفي رواية عنها: أن امرأة أبي حذيفة ذكرتْ ذلك لرسول الله ﷺ دخول سالم مولى أبي حذيفة عليها فقال لها رسول الله ﷺ :«أرضعيه». فأرضعته بعد أن شهد بدرًا فكان يدخل عليها [2].

وفي رواية أم سلمة زوج النبى ﷺ تقول لعائشة: والله ! ما تطيبُ نفسى أن يرانى الغلامُ قد استغنى عن الرضاعة. فقالت: لِمَ؟ قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله والله إنى لأرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم. قالت: فقال رسول الله ﷺ:«أرضعيه». فقالت: إنه ذو لحية! فقال: «أرضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة، فقلت: والله ماعرفتهُ في وجه أبى حذيفة[3].

تنبيه: ـ

اختلف في رضاعة الكبير على عدة أقوال ذكر الشوكاني تسعة وقال:

القول التاسع: إن الرضاع يعتبر فيه الصغر إلا فيما دعت إليه الحاجة كرضاع الكبير الذي لا يستغنى عن دخوله على المرأة ويشق احتجابها منه. وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا هو الراجح عندي وبه يحصل الجمع بين الأحاديث، وذلك بأن تجعل قصة سالم المذكورة مخصصة لعموم إنما الرضاع من المجاعة، ولا

(١) مسند أحمد : ٦/٢٦٩ .

(٢) المستدرك: ٣ / ٢٢٦ .

(٣) صحيح مسلم المصدر السابق.

رضاع إلا في الحولين، ولارضــاع إلا ما فتق الأمعاء وكــان قبل الفطام، ولا رضاع إلا ما انشر العظم وأنبت اللحم، وهذه طريق متوسطة بين طريقة من استدل بهذه الأحــاديث على أنه لا حكم لرضــاع الكبيــر مطلقًا وبين من جــعل رضــاع الكبيــر كرضاع الصغير مطلقًا لما لا يخلو كل واحدة من هاتين الطريقتين من التعسف[1].

* * *

---

(١) نيل الأوطار : ٧/ ١٢٠.

(٨) تبسمه صلى الله عليه وسلم على قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: رجع إليّ رسولُ الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجدُ صُداعًا في رأسي، وأنا أقولُ: وا رأساهُ [(١)]، قال: « بل أنا وا رأساهُ، قال: ماضَرّكِ لومتِّ قبْلى فغسلتُكِ وكفنتُك ثُمّ صليتُ عليكِ ودَفَنْتُكِ ». قلت: لكنى أو لكأنى بك والله لو فعلتَ ذلك لقد رجعتَ إلى بيتى فأعرستَ فيه ببعضِ نسائكَ. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ ثم بُدىء بوجعه الذى مات فيه [(٢)].

وفي رواية القاسم بن محمد قال: قالتْ عائشة: وا رأساهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: « ذاكِ لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر لكِ وأدعو لكِ». فقالت عائشة: وا ثُكْلِياهُ [(٣)]، والله إنّى لاظنُّكَ تُحبُّ موتى، ولو كان ذلك لَظَللتَ آخِرَ يومكَ معرّسًا ببعض أزواجكَ. فقال النبي ﷺ: « بل أنا وارأساهُ، لقد هممتُ ـ أو أردتُ ـ أن أرسل إلى أبى بكر وابنه فأعهد؛ أن يقول

(١) هو تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦ / ٢٢٨، وابن حبان في صحيحه: الإحسان:٨ / ١٩٧، وابن ماجة في سننه: الجنائز باب - ٩ - ما جاء في غسل الرجل امرأته ١ / ٤٧٠.

(٣) أصل الثكل: فقد الولد أو من يعز على الفاقد، وليست هنا على حقيقته، بل هو كلام كان يجرى على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها. الفتح: ١٠ / ١٢٥.

القـائلون أو يتـمنـى المتـمنُّون، ثم قلتُ: يأبى الله ويدفع المـؤمنون ـ أو يدفع الله ويأبى المؤمنون» [1].

الفوائد: وفي الحـديث ما طبعتْ عليه المرأة من الغـيرة، وفيه مـداعبة الرجل أهله والإفضاء إليـهم بما يستره عن غيرهم. وفيـه أن ذكر الوجع ليس بشكاية فكم مِن سـاكت وهو ساخط وكم من شـاك وهو راض، فـالمعول في ذلك على عـمل القلب لا على نطق اللسان [2].

* * *

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب المرضى، باب - ١٦ - ما رخص للمريض أن يقول . .(فتح الباري ١٠ / ١٢٣).

(٢) فتح الباري : ١٠ / ١٢٦ .

(٩) تبسمه صلى الله عليه وسلم على قول صهيب الرومي رضي الله عنه

عن عبد الحميد بن صيفي عن أبيه عن جده صهيب رضي الله عنه قال: قدمتُ على النبيّ ﷺ وبين يديه خبزٌ وتمرٌ. فقال النبي ﷺ: « ادنُ فكلْ ». فأخذتُ آكل من التمر، فقال النبي ﷺ: « تأكلُ تمرًا وبكَ رمَدٌ »[١]؟ قال: فقلت: انّى أَمْضَغُ مِنْ ناحيةٍ أخرى! فتبسم رسول الله ﷺ[٢].

قلتُ والله أعلم ـ: يظهر من سياق الحديث أنه كان مرمدًا إحدى العينين فلما قال ﷺ ذلك أجاب بأنه يمضغ من ناحية أخرى: أى إن كان في العين اليمنى فهو يمضغ من ناحية اليسرى وكذا بالعكس.

ولعله ﷺ قال له ذلك مزحًا فأجاب مزحًا، أو كان هذا شائع بين الناس، وليس صوابًا؛ لأنه إن كان حقًا لمنعه ﷺ من أكل التمر وهو شفيق رحيم بأمته، والصحابة رضوان الله عليهم أشد اتباعًا لأمر الرسول ﷺ.

* * *

(١) الرَّمَدُ : وجع العين وانتفاخها. اللسان ٣ / ١٨٥ .

(٢) أخرجه ابن ماجة: في الطب، باب – ٣ – الحمية ٢ / ١١٣٩ ـ قال في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات ـ وأحمد في مسنده ٥ / ٣٧٥.

(١٠) تبسمه صلى الله عليه وسلم على قول والد أبي رمثة رضي الله عنه

عن أبي رمثة رضى الله عنه: قال انطلـقتُ مع أبى نحو رسول الله ﷺ، فلما رأيته قال لى أبى: هل تدرى من هذا ؟ قلتُ: لا. فـقال لي أبي: هذا رسول الله ﷺ. فاقشـعررت حين قال ذاك، وكنتُ أظن رسول الله ﷺ شيـئًا لا يشبه النّاس فإذا بشرٌ له وفـرةٌ ـ قال عفان في حديثه ذو وفـرة ـ بها ردع من حناء، عليه ثوبان أخضران، فـسلّم عليه أبي، ثم جلسنا فتـحدثنا ساعة، ثـم إن رسول الله ﷺ قال لأبي: « ابنك هذا؟» قال: إى ورب الكعـبة. قال: «حقًا؟» قـال أشهد به! فتـبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثبت شَبَهى بأبي ومن حلف أبي عليّ، ثم قال: أما انه لا يجنى عليكَ ولا تجنى عليه». وقـرأ رسول الله ﴿ **ولا تـزر وازرة وِزْرَ أُخْرى** ﴾ [الإسراء:١٥] قال: ثم نـظر إلى مثل السلعـة بين كتـفيـه، فقال: يـا رسول الله إنّى لأطب الرجال ألا أعالجها لك؟ قال: لا، طبيبها الذى خلقها.

* * *

(١) مسند أحمد: ٢ / ٢٢٦، وأخـرجه أبو داود مختصراً: الديات: باب لا يؤخذ الـرجل بجريرة ابنه أو أخيه. عون المعبود ٤ / ٢٨٧ .

(١١) ضحكه صلى الله عليه وسلم على قول لقيط رضي الله عنه

عن عاصم بن لقيط: أن لقيطًا خرج وافـدًا إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يُقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله ﷺ لانسلاخ رجب فـأتينا رسول الله ﷺ فـوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيبا فقال: « أيها الناس ألا إنى قد خبأتُ لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم ألا فهل من امرىء بعثه قومه؟» فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ. ألا ثـم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حـديث صاحبه أو يلهـيه الضلال، ألا إني مـسئـول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشـوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا. قال: فجلس الناس وقمتُ أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلتُ: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم إنى أبتغى لسقطه، فقال: « ضنّ ربك عز وجل بمفاتيح الخمس من الغيب لا يعلمها الا الله ـ وأشار بيده ـ » قلتُ: وما هي؟ قال: «علم المنية وقد علم منية أحدكم ولاتعلمونه، وعلم المنى حيث يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمون، وعلم ما في غد وما أنت طاعم غدًا ولا تعلمه، وعلم اليـوم الغيث يشـرف عليكم أزلين آدلين مشفقين فيظل يضحك، قـد علم أن غيركم إلى قريب»، قال لقيط: لن نعدم من رب يضحك خيرا، وعلم يوم الساعة. قلتُ: يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فأنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحدٌ من مذحج التى تربؤ علينا وخثعم التى توالينا وعشيرتنا التى نحن منها. قال: تلبثون ما لبثتم ثم يتوفي نبيكم ﷺ، ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصائحة... وذكر الحديث مطولا[١].

قال الهيثمى[٢]: رواه عبد الله والـطبرانى بنحوه وأحد طريقى عـبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات.

---

(١) مسند أحمد: ٤ / ١٣.

(٢) مجمع الزوائد: ١٠ / ٣٤٠.

(١٢) ضحكه صلى الله عليه وسلم على قول سُليم

عن جابر بن عبـد الله الأنصاري رضى الله عنهما قال: كان مـعاذ يتخلف عند رسول الله ﷺ فكان إذا جـاء أمّ قومَهُ، وكـان رجلٌ من بنى سلمة يقـال له سُليم يصلى مع معـاذ فاحتبس معـاذ عنهم ليلة فصلى سُليم وحده وانصـرف، فلما جاء معـاذ أُخبـر أن سليمًا صلى وحـده وانصرف. فـأخبـر معـاذ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى سُلـيم فسأله عن ذلك، فقال: إنّى رجـل أعمل نهاري حتى إذا أمسيت أمسيت ناعسًا فيأتينا معاذ وقد أبطأ علينا، فلما احتبس عليّ صليتُ ثم انقلبت إلى أهلي. فقال رسـول الله ﷺ: «كيف صنعتَ حين صليتَ ؟» قال: قرأت بفاتحة الكتاب وسورة، ثم قعدت وتشهدت وسألت الجنّة وتعوذتُ من النار، وصليت على النبـىﷺ، ثم انصرفت، ولسـتُ أحسن دندنتـكَ ولا دندنة معـاذ. فضحـك رسول الله ﷺ وقال: « هل أدندن أنا ومعـاذ إلا لندخل الجنة ونُعاذ من النار» ثم أرسل إلى معـاذ: «لا تكن فتانا تفتن الناس، ارجع إليهم فـصل بهم قبل أن يناموا» ثم قال سليم: «سـتنظر يا معاذ غدًا إذا التقينا العـدو كيف تكون وأكون أنا وأنت!» قال: فمر سليم يوم أحد شاهرًا سيفـه فقال: يا معاذ تقدم. فلم يتقدم معاذ وتقدم سليـم فقاتل حتى قُتل فكان إذا ذكر عند مُعاذ يقـول: ان سليما صدق الله وكذب معاذ [1].

* * *

(١) كشف الأستار ١ / ٢٥٧.

(١٣) تبسمه صلى الله عليه وسلم على قول عبد الله بن مغفل رضي الله عنه

عن حُميد بن هلال عن عبد الله بن مُغَفَّل قال: أصبتُ جِرابًا [١] من شحم يوم خيبر. قال: فالتزمتُه. فقلت: لا أعطي اليومَ أحدًا من هذا شيئًا. قال: فالتفتُ فإذا رسول الله ﷺ متبسمًا [٢].

وفي رواية عنه، قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقولُ: رُمي إلينا جرابٌ فيه طعام وشحم يوم خيبر، فوثبت لآخذه. قال: فالتفتُ فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه [٣].

وفي رواية عنه، قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: دُلي جراب من شحم يوم خيبر فأخذته فالتزمتهُ فقلتُ: هذا لي لا أعطي أحدًا منه شيئًا، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه، قال سليمان في حديثه وليس في حديث شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «هولك» [٣].

وأخرج ابن وهب بسند معضل: أن صاحب الغنائم كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري أخذ منه الجراب، فقال النبي ﷺ: «خل بينه وبين جرابه» [٤].

الفوائد: كان تبسمه ﷺ على قوله رضى الله عنه: لا أعطي اليوم أحدًا من هذا شيئًا. وكأنه عرف ﷺ شدة حاجته إليه فسوغ له الاستئثار به.

- قوله فاستحييت: إشارة ما كانوا عليه من توقيرالنبي ﷺ.
- جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب.

---

(١) وعاء من جلد.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب - ٢٥ - جواز الأكل من طعام الغنيمة ٤/ ٣٩٣، والبخارى في صحيحه: فرض الخمس، باب - ٢٠ - ما يصيب من الطعام في أرض الحرب(فتح الباري ٦/ ٢٥٥) وأبو داود في سننه: الجهاد، باب في إباحة الطعام في أرض العدو(عون المعبود٣/ ١٨) والدارمى: السير، باب أكل قبل أن تقسم الغنيمة ٢/ ٢٣٤، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٨٦.

(٣) مسند الطيالسي(منحة المعبود: ١/ ٢٣٨).

(٤) فتح الباري: ٦ / ٢٥٦.

(١٤) ضحكه صلى الله عليه وسلم على فعل أبي رافع

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: أتتْ سلمى مولاة رسول الله ﷺ - أو امرأة أبي رافع مـولى رسول الله ﷺ - إلى رسول الله ﷺ تسـتأذنه على أبى رافع قد ضربها، قالت: قال رسول الله ﷺ لأبي رافع: «مالك ولها يا أبا رافع؟» قال: تؤذينى يا رسول الله فـقال رسول الله ﷺ: « آذيتيه يا سلمـى؟!» قالت: يا رسول الله ما آذيته بشىء، ولكنه أحـدث وهو يصلى فقلت له: يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمـين إذا خرج من أحـدهم الريـح أن يتوضأ فقام فضربنى! فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول: « يا أبا رافع إنها لم تأمرك إلا بخير» .

*   *   *

(١) مسند أحمد : ٦ / ٢٧٢.

(١٥) ضحكه صلى الله عليه وسلم عند صرع الحمار

عن عبـد الرحمن بن غنم ـ وهو الذي بعثـه عمر بن الخطاب إلى الشام يُفـقه الناس ـ أن معـاذ بن جبل حدثه عن النبي ﷺ: أنه ركب يومًا على حمـار له يقال له يعفور رسنه من ليف، ثم قال: « اركب يا مـعاذ ». فقلتُ: سر يا رسول الله. فقـال: « اركب». فردفته فصرع الحـمار بنا، فقام النبي ﷺ يضحك وقمتُ أذكر من نفسى أسفًا، ثم فعـل ذلك الثانية، ثم الثالثة، فركب وسار بـنا الحمار فأخلف يده فضرب ظهري بـسوط معه أو عصا، ثم قال: « يا مـعاذ هل تدري ما حقُ الله على العباد؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قـال: «فإن حق الله علي العباد أن يعبدُوه ولا يُشركـوا به شيـئًا» . قال: ثم سـار ما شـاء الله ثم أخلف يده فضـرب ظهري فقـال: « يا معـاذ يا ابن أم معـاذ هل تدرى ما حق العـباد على الله اذا هم فعلوا ذلك؟» قلتُ: الله ورسـوله أعلم. قـال: « فإن حـقَّ العـبـاد عـلى الله إذا فـعلوا ذلك أن يـدخلهم الجـنة » [(١)].

للفائدة: وقد صرع ﷺ من الناقة كما في حديث أنس بن مالك قال: أقبل هو وأبو طلحـة(هو زوج أم سليم والدة أنس بـن مالك) مع الـنبي ﷺ، ومع النبي ﷺ صفية يُردفـها على راحلته، فلما كان ببعض الطريق عـثرت الدابة فصرع النبي ﷺ والمرأة، وأنّ أبا طلحة قال أصب، قال: اقتحم عن بعيره فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، جعلنى الله فداءك هل أصابك من شىء؟ قال: «لا ولكن عليك المرأة». فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصـد قصدها فألقى ثوبه عليها، فقامت

---

(١)مسند أحمد: ٥ / ٢٣٨.

المرأة، فشدّ لهما على راحلتهما فركبا فساروا إلخ.

وفي رواية: قد أردف صفيّة بنت حُيّ فعثرت ناقته فصرعا جميعا [1].

وصرع من الفـرس كمـا في حديث أنس بن مـالك أن رسول الله ﷺ ركب فرسًا فصُرع عنه فجحش شقه الأيمن [2].

قلتُ: صرعـه ﷺ عن الناقة سببـه أنها عثرت، وعن الفـرس سقط ﷺ لعله لسرعتهـا ولم يكن فيه دخل للفرس. أما سقوطه عن الحمـار فألفاظ الحديث تدل على أنه هو الذى صـرع رسول الله ﷺ ومـعـاذا ولا يبعـد منه لأنه حمـار، والله أعلم.

* * *

(١) انظر صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب ما يقول إذا رجع من الغزو (فتح الباري٦/ ١٩٣).

(٢)صحيح البخاري: الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به (فتح الباري ٢/ ١٧٣).

(١٦) ضحكه صلى الله عليه وسلم على اليهود

* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن يهوديًا جاء الى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والخلائق على أصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ [الزمر: ٦٧] قال يحيى بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله: فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا وتصديقًا له.[١]

* * وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفوءها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة». قال فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال: بلى. قال تكون الأرض خبزة واحدة (كما قال رسول الله ﷺ) قال فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه. قال: ألا أخبرك بإدامهم قال: بلى. قال: إدامهم بالام ونون. قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا.[٢]

* * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ جالسًا عند الركن قال فرفع بصره الى السماء فضحك فقال: «لعن الله اليهود ثلاثا إن الله حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه»[٣].

إنه أعجبه إخبار اليهودى عن كتابهم بنظير ما أخبر به من جهة الوحى، وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فكيف بموافقتهم فيما أنزل عليه.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب -١٩- قول الله تعالى ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ (فتح الباري ١٣/٣٩٣).

(٢) صحيح مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب نزل أهل الجنة ٤/٢١٤٧ والبخاري: الرقاق، باب ٤٤.

(٣) سنن أبي داود: البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة (عون المعبود ٣/٢٩٨).

(١٧) تبسمه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته أبا بكر يصلي بالناس

عن أنس بن مالك الأنصاري ـ وكان تبع النبي ﷺ وخدمه وصحبه ـ: أن أبا بكر كان يُصلّي لهم في وجع النبي ﷺ الذي تُوفّي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائمٌ كأنّ وجههُ ورقة مصحفٍ، ثُم تبسّم يضحكُ، فهممنا أنْ نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصفّ وظنّ أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتمُّوا صلاتكم، وأرخى السِّتـر فتُوفي من يومه[١].

وفي رواية[٢] قال: بينما المسلمون في صلاة الفجر لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم صفوف فتبسم يضحك..

* * *

(١) صحيح البخاري : الأذان، باب – ٤٦ – أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (فتح الباري ٢ / ١٦٤).

(٢) صحيح البخاري : الأذان، باب – ٩٤ – هل يلتفت لأمر ينزل به (فتح الباري ٢ / ٢٣٥).

(١٨) ضحكه صلى الله عليه وسلم على قول الأعرابي

عن أنس رضى الله عنه : أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال: قحط المطر، فاستسق ربك، فنظر إلى السماء وما نرى من سحاب، فاستسقى؛ فنشأ السحابُ بعضه إلى بعض، ثم مطروا حتى سالت مثاعب المدينة، فما زالت إلى الجمعة المقبلة ما تقلع ما قام ذلك الرجل - أو غيره - والنبي ﷺ يخطب، فقال: غرقنا؛ فادع ربك يحبسها عنا، فضحك ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا» مرتين أو ثلاثا، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يمينًا وشمالاً يمطر ما حوالينا ولا يمطر فيها شىء، يريهم الله تعالى كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته[١] .

وعن أبي وجزة يزيد بن عبيد السُّلمي قال لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أتاه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو أصغرهم ابن أبى عيينة بن حصن، فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الأنصار، وقدموا على إبل صغار عُجاف وهم مسنتون، فأتوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقالوا: يا رسول الله أسْنَتَتْ بلادنا، وأجدب جنابنا وحرث عيالنا، وهلكت مواشينا، فادع ربك أن يغيثنا وتشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله!

---

(١) صحيح البخاري : الأدب، باب - ٦٨ - التبسم والضحك (فتح الباري ١٠ / ٥٠٤).ودلائل النبوة ٦ / ١٤٤ - ١٤٥.

ويلك، أنا شفعت إلى ربى فـمن الذى يشفع ربُّنا إليه؟ لا إله إلا الله العظيم وسع كرسيه السموات والأرض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد».

وقال رسول الله ﷺ :« إن الله ليـضحك من شعثكم وأذاكم وقـرب غياثكم» فقـال الأعرابى: أويضحك ربنا يا رسـول الله؟ قال:«نعم»، فقـال الأعرابي: لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيراً، فـضحك رسول الله ﷺ من قوله، فقام رسول الله ﷺ فصـعد المنبر وتكلم بكلمات ورفـع يديه ـ وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه في شيء من الدعـاء إلا في الاسـتسـقاء ـ فـرفع يديه حتى رؤى بيـاض أبطيه، وكان فيما حفظ من دعائه: «اللهم اسقنا غيثا مُغيثا مريئًا مريعا، طبقا واسعا عاجلا غيـر آجل، نافعا غير ضار، اللـهم سقيا رحمة لاسقـيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء...».

* * *

(١٩) ضحكه صلى الله عليه وسلم على الأعرابي الذي جر رداءه

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كنتُ أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجرانى غليظ الحاشية، فـأدركه أعرابى فجبذ[1] بردائه جبذةً شـديدة ـ قال أنس فنظرت إلى صفحة عـاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيه حاشيـة الرداء من شدة جبذته ـ ثم قال : يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك. فـالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء [2].

في هذا الحـديث بـيـان حلمـه ﷺ وصـبـره على الأذى فـي النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام.

* * *

(١) أى : جذب.

(٢) صحيح البخاري : الأدب، باب - ٦٨ - التبسم والضحك (فتح الباري ١٠ /٥٠٣).

(٢٠) ضحكه صلى الله عليه وسلم على رجلٍ يوم الخندق

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما كان يوم الخندق ورجل يترس جعل يقولُ بالترس هكذا فوضعه فوق أنفه ثم يقول هكذا يسفله بعد، قال فأهويتُ إلى كنانتي فأخرجت منها سهمًا مدما فوضعته في كبد القوس، فلما قال هكذا يسفل الترس رميتُ فما نسيت وقع القدح على كذا وكذا من الترس، قال: وسقط فقال برجله، فضحك نبي الله ﷺ. أحسبه قال حتى بدت نواجذه. قال: قلتُ: لم؟ قال: لفعل الرجل [١].

* * *

---

(١) مسند أحمد : ١ / ١٨٦ .

(٢١) السباق على الرجل

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهـا قالت: خرجتُ مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقـال للناس :« تقدموا »، فتقدموا ثم قال لى:« تعالى حتى أسابقك». فسابقته فسبقتُه فسكت عنّى، حتى إذا حملتُ اللحم وبدنتُ ونسـيتُ خرجتُ مـعـه في بعض أسفـاره فقـال للناس « تقدمـوا» فتـقدموا ثم قال:« تعـالي حتى أسابقك». فسـابقته فـسبقنى فجـعل يضحك وهو يقولُ: « هذه بتلك » [١].

فيـه: حُسن معاشرته ﷺ لأهله ومـداعبته، ولم يتـزوج رسول الله ﷺ بكرًا غير عائشة رضى الله عنها وكانت جارية ففي هذا السن تحب المرأة الضحك والمزاح واللعب كما صح عنه ﷺ .

عن جابر بن عـبد الله رضى الله عنهـما قال: هلك أبى وترك سـبع بنات أو تسع بنات فتزوجت امرأة ثيـبًا. فقـال لي رسول الله ﷺ: « تزوجت يا جابـر؟» فقلت: نعم. فقال: «بكرًا أم ثيـبًا؟ قلت: بل ثيبًا. قال:« فهلا جارية تُلاعـبها وتُلاعبك. وتضاحكهـا وتضاحكك؟» قـال: فقلت له: إن عبـد الله هلك وترك بنات، وإنى كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امـرأة تقوم عليهن و تُصلحهن. فقال: «بارك الله لك ـ أو خيرًا » [٢].

وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني: أن النبى ﷺ قال لرجل فذكر نحو حديث جابر وقال فيه: «وتعضها وتعضك» [٣].

---

(١) مسند أحمد : ٦ / ٢٦٤.

(٢) صحيح البخاري النفقات، باب عون امرأة زوجها في ولده (فتح الباري ٩ / ٥١٣).

(٣) فتح الباري ٩ / ١٢٢ .

(٢٢) ما جاء في يتيمة أم سليم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كانت عند أم سليم يتيمةٌ - وهى أم أنس[١] - فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال: « آنت هيَهْ، لقد كبرت، لا كبر سنّك!» فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكى . فقالت أم سليم : مالك يا بنيّة؟! قالت الجارية: دَعا عليَّ نبيُّ الله ﷺ أنْ لا يكبر سنّى فالآن لا يكبر سنّى أبدًا. أو قالت قرني، فخرجت أم سُليم مستعجلة تلوثُ خمارهَا حتى لقيتْ رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: «مالكِ يا أم سُليم؟» فقالت: يا نبى الله أدعوتَ على يتيمتي؟ قال: «وما ذاك يا أم سُليم؟!» قالتْ: زعمتْ أنّك دعوتَ أنْ لا يكبر سنُّها ولا يكبر قرنُها! قال: فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال:«يا أم سُليم أما تعلمينَ أنْ شرطِى على ربّى أنى اشترطتُ على ربى فقلتُ: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشرُ، وأغضبُ كما يغضب البشرُ فأيّما أحد دعوتُ عليه من أمّتى بدعوةٍ ليس لها بأهلٍ أن تجعلها له طهورًا وزكاةً وقُربة يقربهُ بها منه يوم القيامة» [٢].

هذا الحديث يبين ما كان عليه الصلاة والسلام من الشفقة على أمته، والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم وإنما يكون دعاؤه عليه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلاً للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلمًا.

فإن قيل كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك؟ فالجواب ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان:

---

(١) أم سُليم هي والدة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ .

(٢) صحيح مسلم : البر والصلةوالآداب. باب - ٢٥ - من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه ٤ / ٢٠١٠.

أحدهما : أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

الثاني : أن ما وقع من سبّه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله: « تربت يمينك » و « عقرى حلقى » وفي هذا الحديث « لا كبرت سنك » وفي حديث معاوية :« لا أشبع الله بطنه » ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورًا وأجرًا. وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا ولا منتقمًا لنفسه [1].

* * *

(١) شرح مسلم للنووى : ١٦ / ١٥٢ .

(٢٣) ما جاء في قدوم أبي عبيدة بن الجراح بمال من البحرين

عن عـمرو بن عـوف ـ وهو حـليف لبني عامـر بن لؤي كـان شهـدَ بدراً مع رسول الله ﷺ ـ أخبره: أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ هو صـالح أهل البحرين وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه، فواقفت [١] صلاة الصبح مع رسـول الله ﷺ فلما انصرف تعرّضوا له، فتـبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: «أظنُّكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء ». قالوا: أجل يا رسول الله، قـال: «فأبشروا وأمّلوا مـا يسرُّكم، فوالله مـا الفقـر أخشى عليكم ولكن أخـشى عليكم أن تبسـط عليكم الدنيا كـما بـسطت على من كان قـبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم [٢] كما ألهتهم» [٣].

هـذه الخـشـية يحـتمـل أن يـكون سبـبها علمـه أن الدنيا سـتفتح عـليهم ويحصل لهم الغنى بالمال وقد ذكـر ذلك في أعلام النبوة بما أخبر ﷺ بوقـوعه قبل أن يقع فوقع .

---

(١) في رواية المستملي والكشميهني « فوافقت » وعن الترمذي: « فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ » .

(٢) في جامع الترمذي : « فتُهلِكَكم كما أهلكتهم » .

(٣) أخرجه البـخاري في صحيحه : الرقـاق، باب - ٧ - ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيهـا (فتح الباري ١١ / ٢٤٣) والترمذي في جـامعه : صفة القـيامة، باب ٢٨ (تحفـة الأحوذي ٣/ ٣٠٧) وابن المبارك في الزهد ص ١٧٣ .

ـ إن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عـاقبتها، وشرّ فتنتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها، قاله ابن بطال.

الفقر أفضل من الغنى لأن فتنة الدنيـا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة، التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا، والفقير آمن من ذلك [1].

* * *

(١) راجع فتح الباري : ١١ / ٢٤٥ .

(٢٤) ما ذكر في غزوة الطائف

عن عبد الله بن عمر رضى عنهمـا قال: لما كان رسول الله ﷺ بـالطائف قال: « إنا قافلون غدًا إن شاء الله ». فقال ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ لا نبرح أو نفتحها. فقال النبي ﷺ: «فاغدوا على القتال». قال: فغدوا فقاتلوهم قتالاً شديدًا وكثـر فيهم الجـراحات فقال رسـول الله ﷺ: «إنا قافلون غدًا إن شـاء الله» قال: فسكتوا، فضحك رسول الله ﷺ [١].

وفي رواية [٢]: لما حاصـر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيـئًا، قال: «إنا قافلون إن شاء الله». فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟!..

وذكر أهل المغازي[٣] أن النبي ﷺ لما استـعصى عليه الحصن وكـانوا قد أعدوا فيه ما يكفـيهم لحصار سنة، ورموا على المسلمين سكك الحـديد المحماة، ورموهم بالنبل، فأصابوا قومًا فاستـشار نوفل بن معاوية الديلى فقال : هم ثعلب في جُحْر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك. فرحل عنهم .

ولما سـمع الصحـابة قوله ﷺ « إنا قـافلون » أي راجعـون إلى المدينة فثـقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتـحه. وحاصل الخبر أنهم لما أخبرهم بالرجـوع بغير فتح لم يعجبهم فلما رأى ذلك أمرهم بالقتال فلم يفتح لهم فأصيبوا بالجراح لأنهم رموا عليهم من أعلى السور فكانوا ينالون منهم بسهـامهم ولا تصل السهام إلى من على السور، فلما رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع، فلما أعاد عليهم القول بالرجوع أعجبهم حينئذ، ولهذا قال فضحك رسول الله ﷺ.

* * *

---

(١) صحيح البخاري الأدب، باب - ٦٨ - التبسم والضحك (فتح الباري ١٠ / ٥٠٣).

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي - ٥٦ - غزوة الطائف (فتح الباري ٨ / ٤٤).

(٣) فتح الباري : ٨ / ٤٥ .

(٢٥) قصة جوع أبي هريرة رضي الله عنه

عن مجاهد: أنّ أبا هريرة كان يقـولُ: الله الذي لا إله إلا هو إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض[١] من الجوع، وإن كنتُ لأشد الحـجرَ على بطنى منَ الجوعِ. ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسألته عن آيةٍ من كتاب الله ما سألتـه إلاّ ليشبعنى [٢] فمرّ ولم يفـعل، ثم مرّ بي عمرُ فـسألته عن آية من كتـاب الله ما سألتـه إلاّ ليشـبعنى فمـرّ فلم يفعل، ثمّ مـر بِى أبو القاسم ﷺ فتبـسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجـهي ثم قال: «يا أبا هرّ»، قلتُ: لبيك رسول الله، قـال: «الحق»، ومضى فتبعـتهُ فدخل فاستـأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنًا في قـدح فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهـداه لك فلان أو فلانة. قـال: «أبا هرّ»، قلتُ: لبيك يا رسـول الله، قـال: «الحق إلى أهل الصُّفة فـادعُهم لي»، قال: وأهل الصُّفـة أضيافُ الإسـلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحدٍ إذا أتتـهُ صدقة بعث بهـا إليهم ولم يتناول منهـا شيئـا، وإذا أتته هديةٌ أرسلَ إليهم وأصـابَ منها وأشركهم فـيها فسـاءني ذلك. فقلتُ: ومَا هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنتُ أحقّ أن أصـيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، فـإذا جاءوا أمرني فكنتُ أنا أعطيهم، وما عسى أن يَبلُغنى من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدّ، فأتيتهم فـدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذِن لهـم، وأخذوا مجالسهم مِن البـيت. قال: «يا أبا هرّ»، قلت: لبـيك يا رسول الله، قـال: «خذ فـأعطهم»،

(١) أى: ألصق بطني بالأرض.

(٢) بالمعجمة والموحدة من الشبع، ووقع في رواية الكشميهني: ليتبعنى بمهملة مثناتين وموحدة أي يطلب مني أن أتبعه ليطعمنى.

فأخـذتُ القدح فـجعلتُ أعطيـه الرجل فيـشربُ حتى يروى، ثم يَرد عـليّ القدح فأعطيه الرجل فـيشرب حتى يَروى، ثم يُرد عليّ القدح، فيـشرب حتى يروى، ثم يردُ على القدح حـتى انتهيتُ إلى النبي ﷺ وقـد رَوى القومُ كلهم، فأخـذ القدح فوضـعه على يده، فنظر إليَّ فتبـسم فقال: «أبا هر»، قلتُ: لبـيك يا رسول الله، قال: « بقـيتُ أنا وأنت». قلتُ: صدقـتَ يا رسول الله. قال: «اقـعد فـاشرب»، فقـعدت فشـربتُ، فقال: «اشـرب»، فشربتُ. فـما زال يقول: «اشـرب»، حتى قلتُ: لا والذي بعثـك بالحق ما أجدُ له مـسلكًا، قال: «فأرني» فـأعطيتـه القدح، فحمد الله وسمّى وشربَ الفضلة [1].

* * *

(١) صحيح البخاري: الرقاق، باب ـ ١٧ ـ كيف كان عيشُ النبي ﷺ وأصحابه (فتح الباري ١١/ ٢٨١).

(٢٦) قصة اعتزاله صلى الله عليه وسلم نساءه

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنـهما قال: « لم أزَل حَريصًا على أن أسأل عمـرَ رضىَ الله عنه عن المرأتين من أزواج النبيِّ ﷺ اللَّتين قـال الله لهـما: ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صَغَت قُلوبُكما** ﴾ [التحريم: ٤]، فحجَجتُ معَهُ، فَعدَل وعدَلتُ معَهُ بالإداوة، فتـبرَّزَ، ثمَّ جـاء فسكبتُ على يَديهِ منَ الإداوَة فـتَوضَّأ. فقلتُ: يا أمـيرَ المؤمنينَ، مَن المرأتان من أزواجِ النبي ﷺ اللَّتـان قال الله عـزَّ وجلَّ لهـما: ﴿ **إن تتـوبا إلى الله فـقد صَغَت قُلوبُكمـا** ﴾ [التحريم: ٤] فقـال: واعجـبًا لكَ يا ابن عبّاس، عائشة وحـفصة. ثمَّ استـقبل عمرُ الحـديثَ يَسوقهُ فقـال: إنى كنتُ وجارٌ لي من الأنصار في بـنى أمية بن زيد - وهـى من عَوالى المدينة ـ وكنّا نتناوبُ النُّزول على النبي ﷺ، فينزلُ يومًا وأنزلُ يومًا، فـإذا نزلتُ جئته من خَبَر ذلك اليـومِ من الأمر وغـيرِه، وإذا نزَل فَعلَ مـثلَه. وكنّا مَعـشرَ قُرَيشٍ نَغلبُ النسـاء، فلمـا قَدِمنا على الأنصار إذ هم قَومٌ تَغلبُهم نِساؤهم، فطفقَ نِسـاؤنا يأخُذنَ من أدبِ نساء الأنصار، فصِحتُ على امرأتى، فراجَعَتنى، فأنكرتُ أن تُراجعَنى. فقالت: ولم تُنكرُ أن أراجعَكَ؟ فوالله إنَّ أزواج النبي ﷺ ليُراجعنَه، وإنَّ إحداهنَّ لتَهجُرهُ اليومَ حتَّى الليلِ. فأفزَعتنى. فقلتُ: خابت مَن فعلَت منهنَّ بعظيم. ثمَّ جَمعتُ عليَّ ثيابى فـدخلتُ على حفصة فقلتُ: أىْ حفـصةُ، أتُغاضِبُ إحداكنَّ رسولَ الله ﷺ اليومَ حـتى الليلِ؟ فقالت: نعم. فقلت: خابَت وخَسرَت. أفتأمنُ أن يَغـضبَ الله لغضب رسوله فتهلَكينَ؟ لا تَستكثرى عـلى رسول الله ﷺ، ولا تراجعيه في شيء، ولا تَهـجُريه، وسَلينى ما بدا لك. ولا يَغُرنك أن كـانت جارتُك هى أوضأ منكِ وأحبَّ إلى رسـول الله ﷺ (يريد عائشة). وكنّا تحدَّثنا أنَّ غَسّان تُنعلُ النعـال لغزونا، فنزلَ صاحبى يومَ نَوبته،

فرجع عِشـاء فضـربَ بابى ضربًا شديدًا وقـال: أثمَّ هو: ففـزعتُ فخـرجتُ إليه، وقال: حـدَثَ أمرٌ عظيم، قلتُ: مـا هو، أجاءت غَسّانُ؟ قـال: لا، بل أعظم منه وأطولُ، طَلّق رسولُ الله ﷺ نسـاءه، قال قد خابَت حفـصةُ وخَسرَت. كنت أظنُّ أنَّ هذا يوشك أن يكون، فجمعت علىَّ ثيابى، فصلّيتُ صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل مَشربةً له فـاعتزَل فيهـا. فدخلتُ على حفصةَ، فـإذا هىَ تبكى. قلتُ: ما يُبكيك، أوَ لم أكن حَذّرتُك؟ أطَلّقـكُنَّ رسولُ الله ﷺ؟ قـالت: لا أدرى، هوَ ذا فى المشربة، فخرجتُ فجئتُ المنبرَ، فـإذا حولَهُ رَهطٌ يَبكى بعضُهم، فجلستُ معهم قليلا. ثـم غَلَبنى ما أجدُ فـجئتُ المشـربةَ التى هو فيـها، فقلـتُ لغُلام لهُ أسودَ: اسـتأذن لعـمرَ. فـدخل فكلّم النبي ﷺ، ثم خـرَجَ فقـال: ذكرتُكَ له فـصَمتَ. فانصـرفتُ حتّى جلست معَ الرهطِ الذينَ عندَ المنبـر. ثمَّ غَلَبنى ما أجدُ، فـجئتُ ـ فذكرَ مـثلهُ ـ فجلستُ معَ الرهطِ الذينَ عندَ المنبرِ. ثم غلبَنى ما أجـدُ فجئتُ الغُلام فقلتُ: استأذن لعمرَ ـ فـذكرَ مثله ـ فلمّا ولَّيتُ مُنصَرِفًا فإذا الغُلام يَدعونى، قال: أذنَ لكَ رسول الله ﷺ فدخلتُ عليه، فـإذا هوَ مُضطجعٌ على رمالِ حَصيرٍ، ليس بَينَهُ وبينهُ فراشٌ، قد أثرَ الرِّمالُ بجنـبه، مُتكىءٌ على وسادة من أدم حَشوُها ليف. فسلمّتُ عليـه، ثمَّ قلتُ وأنا قائمٌ: طَلّقتَ نساءَكَ؟ فرَفعَ بصـرَهُ إلىَّ فقال: لا. ثم قلتُ ـ وأنا قـائمٌ أستـأنسُ ـ: يا رسول الله، لو رأيتَنى وكنّا مـعشـر قُريشٍ نَغلبُ النساءَ، فلمـا قدمنا على قـومٍ تغلِبُهم نساؤهم . . فذكـره. فتـبسَّمَ النبيُّ ﷺ. ثم قلتُ: لو رأيتنى ودَخلتُ على حفصةَ فـقلتُ لا يَغُرَّنَّك أن كانت جارتُكِ هى أوضأ منك وأحبَّ إلى النبي ﷺ (يريد عـائشة)، فتـبسَّم أخرى. فـجلست حين رأيتهُ تبسَّم. ثمَّ رفـعتُ بَصرى في بيتـه، فوالله ما رأيتُ فـيه شيئًا يَرُدُّ البـصرَ غيـرَ أهبة ثلاث، فقلتُ: ادع الله فليَوسِّع على أمَّتكَ، فإنَّ فارسَ والرُّومَ وُسِّعَ عليهم وأُعطوا الدُّنيـا وهم لا يَعبُدون الله. وكـان مُتكئًا فقـال: «أوَ فى شك أنتَ يا ابن الخَطّاب؟

أولئك قومٌ عُجِّلت لهم طيِّباتُهم في الحياة الدُّنيا». فقلتُ: يا رسول الله استغفر لي. فاعتزلَ النبيُّ ﷺ من أجل ذلك الحديثِ حين أفشَتهُ حفصة إلى عائشةَ، وكان قد قالَ: «ما أنا بداخل عليهنَّ شهرًا»، من شدَّةِ مَوجدَته عليهنَّ حينَ عاتَبهُ الله. فلمّا مضَت تسعٌ وعشرون دخل على عائشة فبَدَأ بها، فقالت له عائشة : إنك أقسمت أن لا تدخلَ علينا شهرًا، وإنّا أصبحنا بتسعٍ وعشرين ليلةً أعُدُّها عَدًا، فقال النبيُّ ﷺ: «الشهر تسعٌ وعشرون»، وكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين. قالت عائشة: فأنزلت آية التخيير، فبدأ بى أول امرأة فقال: «إنى ذاكرٌ لكِ أمرًا، ولا عليكِ أن لا تَعجَلى حتّى تستأمرى أبويك». قالت: قد أعلمُ أنَّ أبوىَّ لم يكونا يأمُرانى بفراقكَ. ثمَّ قال: « إن الله قال ﴿ **يا أيها النبيُّ قل لأزواجك - إلى قوله - عظيما** ﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]، قلت: أفي هذا أستأمرُ أبوىَّ، فإنى أريدُ الله ورسولَهُ والدَّارَ الآخرةَ. ثم خيَّرَ نساءَه. فقُلنَ مثلَ ما قالت عائشةُ » [١].

وفي رواية: أنه قال: « مكثتُ سنةً أريدُ أن أسأل عمرَ بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتى خرج حاجًا فخرجت معهُ، فلما رجعتُ وكنّا ببعض الطريق، عدَل إلى الأراكِ لحاجةٍ له، قال فوقفتُ له حتى فَرغ، ثم سِرتُ معه فقلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟، فقال: تلك حفصة وعائشة، قال فقلتُ: والله إن كنت لأريدُ أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبةً لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندى من علم فاسألنى، فإن كان لى علمٌ خبَّرتك به، قال: ثم قال عُمرُ: والله إن كنا في الجاهلية ما نَعُدُّ للنساء أمرًا، حتى أنزل الله فيهن ما أنزلَ وقسَم لَهنَّ ما قَسَم، قال: فبينا أنا في أمرٍ أتأمَّرُهُ إذ قالت امرأتى: لو صنعت كذا وكذا، قال فقلت لها: مالك ولما ها هنُا،

(١) صحيح البخاري : المظالم، باب ٢٥ الغرفة والعلية المشرفة ... (فتح الباري ٥/ ١١٤).

فيـما تكُلفك في أمـر أريدُهُ ؟ فقـالت لى: عَجبًا لكَ يا ابن الخطاب، مـا تريدُ أن تَراجع أنت، وأن ابنتك لتراجعُ رسولَ الله ﷺ حتى يظلَّ يومهُ غضبان. فقام عمر فأخذ رداءهُ مكانهُ حتى دخل على حفصـةَ، فقال لها: يا بُنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حـتى يظلَّ يومَه غضـبان؟ فـقالت حـفصـة: والله إنّا لنراجعهُ. فـقلت: تعلَمين أنّي أحـذِّرك عُقـوبة الله وغَضَبَ رسـوله ﷺ، يا بُنيـة لا يغُرنّك هذه التى أعجـبها حُسنهـا حبُّ رسول الله ﷺ إياها ـ يريدُ عـائشة ـ قال: ثم خـرجت حتى دخلتُ على أمِّ سلمـة لِقرابتى منها فكلمـتها، فـقالت أم سلمـةَ: عَجبًا لك يا ابن الخطاب، دخلت فى كل شيء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه. فأخذتنى والله أخذًا كسرتنى عن بعض ما كنت أجِد فخرجتُ من عندها، وكان لى صاحبٌ من الأنصـار إذا غِبتُ أتانى بالخَبَر، وإذا غاب كنتُ أنا آتيـه بالخَبر، ونحن نتخوف مَلِكًا من مُلوك غَسّان ذُكـر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امـتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبى الأنصارىُّ يدُقُّ البابَ، فقال: افتح افتح، فقلت: جاء الغسَّانيُّ؟ فقال: بل أشدُّ من ذلك، اعتزل رسـولُ الله ﷺ أزواجهُ، فقلتُ رَغمَ أنفُ حفصةَ وعائشة. فأخذت ثوبى فأخرُجُ حتى جِئتُ، فإذا رسولُ الله ﷺ في مشربة لهُ يرقَى عليها بعجلة، وغُلامٌ لرسولِ الله ﷺ أسَودُ على رأسِ الدَّرَجة، فقلت له: قل هذا عُمـر ابنُ الخطاب. فـأذنَ لى. قـال عُمر: فـقَصـصتُ على رسـول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغتُ حديث أمِّ سَلَمة تَبَسَّم رسولُ الله ﷺ وإنه لَعلى حصير ما بينه وبينه شـيءٌ، وتحت رأسِه وسـادَةٌ مِن أدَم حَشـوهـا ليفٌ، وإن عندَ رجليـه قَرَظا مصبوراً، وعند رأسه أهبٌ مُعلقةٌ، فرأيت أثر الحـصير في جنبه فبكيتُ، فقال: ما يُبكيك؟ فقلت: يا رسولَ الله، إن كِسرى وقيصرَ فيما هما فيه، وأنت رسولُ الله، فقال: « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » [1].

---

(١) صحيح البخاري: التفسير، سورة التحريم باب ٢ (فتح الباري ٨/ ٦٥٧).

(٢٧) من جامع امرأته في نهار رمضان

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذا جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله هلكتُ. قال: «مالك؟» قال: وقعتُ على امرأتى وأنا صائمٌ. فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبةً تُعتقها؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين» قال: لا. قال: «فهل تجدُ إطعام ستين مسكينًا؟» قال: لا. قال: فمكث[1] النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر - والعرق: المكتل - قال: أين السائل، فقال: أنا، قال: «خُذ هذا فتصدق به» فقال الرجل: على أفقر منى يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابيتها - يريد الحرتين - أهل البيت أفقر من أهل بيتى. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «أطعمه أهلك» [2].

قيل أن سبب ضحكه ﷺ كان من تباين حال الرجل حيث جاء خائفًا على نفسه راغبًا في فدائها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع في أن يأكل ما أعطيه من الكفارة.

وقيل: ضحك من حال الرجل في مقاطع كلامه وحسن تأتيه وتلطفه في الخطاب وحسن توسله في توصله إلى مقصوده [3].

---

(١) هكذا في نسخة المطبوع لصحيح البخاري، وقال الحافظ عند شرحه فمكث عند النبي ﷺ فلعل كلمة «عند» سقطت في المطبوع والله أعلم.

وفي رواية ابن عيينة: فقال له النبي ﷺ أجلس فجلس. ويحتمل أن يكون سبب أمره له بالجلوس انتظار ما يوحى إليه في حقه، ويحتمل أنه كان عرف أنه سيؤتى بشيء يعينه به، ويحتمل أن يكون أسقط عنه الكفارة بالعجز وهذا الثالث ليس بقوى لأنها لو سقطت ما عادت عليه حيث أمره بها بعد اعطائه إياه المكتل. انظر الفتح ٤/ ١٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الصوم: باب ٣٠٠ إذا جامع في رمضان ولم يكتب له شيء فتصدق عليه فليكفر (فتح الباري ٤/ ١٦٣)، ومسلم: الصيام: ١- ١٤ باب تغليظ تحريم الجماع نهار رمضان على الصائم ٢/ ٧٨١.

(٣) راجع فتح الباري : ٤/ ١٧١.

(٢٨) ما ذكر في نزول سورة المنافقون

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناسٌ من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا إليه فسبق أعرابيٌ أصحابه - فيسبق الأعرابي فيملأ الحوض ويجعل حوله النطع عليه حتى يجئ أصحابه - قال: فأتى رجلٌ من الأنصار أعرابيًا فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع قباض الماء فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه فأتى عبد الله بن أُبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أُبى ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، يعنى الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدًا بالطعام فليأكل هو ومن عنده، ثم قال لأصحابه: لئن رجعنا إلى المدينة فليخرج الأعز منكم الأذل. قال زيد: وأنا ردف رسول الله ﷺ فسمعت عبد الله بن أُبى فأخبرتُ عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجَحدَ قال: فصدقه رسول الله ﷺ وكذبنى قال فجاء عمى إلىّ فقال: ما أردت إلى أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون. قال: فوقع علىّ من الهمّ ما لم يقع على أحدٍ، قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله في سفرٍ قد خفقتُ برأسى من الهمّ إذا أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذنى وضحك في وجهى فما كان يسرني أن لى بها الخلد فى الدنيا. ثم إن أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ، قلتُ: ما قال لى شيئًا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي. فقال: أبشر. ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين[1].

---

(١) جامع الترمذي: التفسير، سورة المنافقون تحفة الأحوذي ٤/ ٢٠١.

وفي الحديث من الفوائد: ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم والاقتصار على معاتباتهم، وقبول أعذارهم، وتصديق أيمانهم وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك لما في ذلك من التأنيس والتأليف.

- وفيه جواز تبليغ ما لا يجوز للمقول فيه، ولا يعد نميمة مذمومة إلا أن قصد بذلك الإفساد المطلق، وأما إذا كانت فيه مصلحة ترجح على المفسدة فلا [1].

- قال في رواية جابر بن عبد الله الأنصارى: فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق[2]. وفي مرسل قتادة: فقال عمر مر معاذا أن يضرب عنقه. وإنما قال ذلك لأن معاذًا لم يكن من قومه[3].

- زاد ابن اسحاق: فقال: مر به معاذ بن بشر بن وقش فليقتله. فقال: لا، ولكن أذن بالرحيل. فراح في ساعة ما كان يرحل فيها فلقيه أسيد بن حضير فسأله عن ذلك فأخبره فقال: فأنت يا رسول الله الأعز وهو الأذل. قال وبلغ عبد الله ابن عبد الله بن أُبي ما كان من أمر أبيه فأتى النبي ﷺ فقال: بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فقال: « بل ترفق به وتحسن صحبته» [4].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر من طريق الحكم عن عكرمة: أن عبد الله بن أُبي بن سلول كان له ابن يُقال له حباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، فقال: يا رسول الله: إن والدي يؤذي الله ورسوله فذرني حتى أقتله! فقال له رسول الله: « لا تقتل أباك » ثم جاءه أيضا فقال له: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله فذرني حتى أقتله! فقال له رسول الله ﷺ: «لا تقتل أباك » ثم جاءه أيضا

(١) فتح الباري: ٨/ ٦٤٦.

(٢) صحيح البخاري : التفسير، سورة المنافقون باب ٥ (فتح الباري ٨/ ٦٤٨).

(٣، ٤) فتح الباري ٨/ ٦٥٠.

فقـال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسـوله فذرني أقـتله! فقـال له رسول الله: «لا تقتل أباك» فقال: يا رسول الله فذرني حتى أسقيه من وَضوئك لعل قلبه يلين، فـتوضأ رسـول الله ﷺ وأعطاه فذهب بـه إلى أبيه فـسقاه ثم قـال له: هل تدري ما سـقيتك؟ قـال له والده: سقـيتني بول أمك، فقـال له ابنه: والله ولكن سقيتك وضوء رسول الله ﷺ.

وعن بشـر بن مسلم أنه قـيل له: يا أبا حـباب إنه قـد نزل فيك آي شـداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يسـتغفر لك، فلوى رأسـه ثم قال: أمرتموني أن أومن فقد آمنت، وأمرتموني أن أعـطى زكاة مـالي فقد أعطيت، فما بـقى إلا أن أسـجد لمحمـد! [1].

* * *

(١) الدر المنثور: المجلد ٨/ ١٧٥.

(٢٩) ما جاء في صلاته صلى الله عليه وسلم على رأس المنافقين

عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضـى الله عنهم أنه قال: لما ماتَ عبد الله ابن أُبي بن سـلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليـه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلتُ: يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي؟ وقد قال يوم كذا وكذا، كذا وكذا أعـدّد عليه قوله، فـتبسم رسـول الله ﷺ وقال: «أَخِّرْ عنّي يا عمـر». فلما أكثرت عليه قال: «إنّي خُيرتُ فاخترتُ، لو أعلم أني إن زدتُ على السبعين يُغفر له لزدت عليها». قال: فصلى عليـه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة **﴿ وَلا تُصلّ عَلى أحدٍ منهـم مات أبدًا - إلى -. وهم فاسقون ﴾** [التوبة: ٨٤] قال: فعجبتُ بعد من جرأتي على رسول الله يومئذ [١].

استشكل الداودي تبسمـه ﷺ في تلك الحالة مع ما ثبت أن ضحكه ﷺ كان تبســمًا ولم يكن عند شهود الجنـائز يستعـمل ذلك ؟! وجوابه أنه عبـر عن طلاقة وجهه بذلك تأمينًا لعمر وتطيبًا لقلبه كالمعتذر عن ترك قبول كلامه ومشورته [٢].

* * *

(١) صحيح البخاري: الجنائز، باب ٨٤ ما يكره من الصلاة على المنافقين. (فتح الباري: ٢/ ٢٢٨).

(٢) فتح الباري : ٨/ ٣٣٧.

(٣٠) قصة الإفك

قالت عـائشة: كـان رسولُ الله ﷺ إذا أراد سَفراً أقـرع بين أزواجه، فـأيتهن خرج سـهمُها خرج بهـا رسول الله ﷺ معه. قـالت عائشة: فأقـرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمى، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجى وأنزل فيه، فسرنا؛ حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقـفل ودنونا من المدينة قـافلـين آذنوا ليلة بالرحـيل، فقـمتُ حين آذنوا بالرحـيل فمشيتُ حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفـار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كـانوا يُرحِّلوني فاحتملوا هودجى فـرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليـه ـ وهم يحسـبون أنى فـيه، وكـان النساء إذ ذاك خـفافًا لم يهبلن ولم يغـشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطـعام ـ فلم يستنكر القوم خـفة الهودج حين رفعوه وحـملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثـوا الجمل فساروا، ووجدت عقـدى بعد ما استـمر الجيش، فجـئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيممت منزلى الذى كنت به، وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلىّ. فبينا أنا جالسة في منزلى غلبتنى عينى فنمت، وكان صفوان بن المعطَّل السُّلمى ثم الذَّكوانىّ من وراء الجيش، فأصبح عندَ منزلى، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفنى حين رآنى، وكان رآنى قبل الحـجاب، فاستـيقظت باسترجـاعه حين عرفنى، فخـمرتُ وجهى بجلبابى. ووالله ما تكلمنا بكلمـة، ولا سمعت منه كلمة غير اسـترجاعه، وهوى حتى أناخ راحلـته، فوطىء على يدها، فـقمت إليـها فركـبتـها، فانطلـق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيـش موغرين فى نحر الظهيـرة وهم نُزول. قالت: فهلك من هلك. وكان الذى تولى كبر الإفك عبد الله بن أُبى بن سلول. قال عروة: أخبرتُ أنه كان يُشاع ويتـحدث به عنده فيقرُّه ويستـمعه ويستوشيـه. وقال عروة أيضًا: لم

يسمَّ من أهل الإفك أيضًا إلا حسّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لى بهم، غير أنهم عُصبة - كما قال الله تعالى - وإن كبر ذلك يقال عبد الله بن أُبى بن سلول. قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذى قال:

فإن أبى ووالده وعِرضى لعرض محمد منكم وقاءُ

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيتُ حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبُنى في وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخُل على رسول الله ﷺ فيُسلِّم ثم يقول: كيف تِيكم؟ ثم ينصرف، فذلك يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجتُ حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع - وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل - وذلك قبل أن نتَّخذ الكنُف قريبًا من بيوتنا، قالت: وأمرنا أمرُ العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا. قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح - وهى ابنة أبي رُهم ابن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب - فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهدَ بدرًا؟ فقالت: أى هنتاه، ولم تسمعى ما قال؟ قالت: وقلت: ما قال؟ فأخبرتنى بقول أهل الإفك. قالت: فازددت مرضًا على مرضى. فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ، فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت له: أتأذن لى أن آتى أبوي؟ - قالت: وأريد أن استيقن الخبر من قبلهما - قالت: فأذن لى رسول الله ﷺ. فقلت لأمي: يا أمَّتاه، ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية، هوني عليك، فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا

أكثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي. قالت: ودعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك، ولا نعلم إلا خيرا. وأما عليّ فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أى بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أُبي - وهو على المنبر - فقال: يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا. ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد بن معاذ - أخو بني عبد الأشهل - فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج - وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج. قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحا، ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد - فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله، لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج - حتى همُّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر. قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فبكيت يومى ذلك كله لا يرقأ لى دمع

ولا أكتحل بنوم. قالت: وأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويومًا لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، حتى إنى لأظن أن البُكاء فالق كبدي. فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علىّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معى. قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، ولقد لبث شهرًا لا يوحى إليه فى شأني بشيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة إنه بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب رسول الله ﷺ عنى فيما قال، فقال أبى: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ؟ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال. قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ؟ فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرًا -: إنى والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إنى بريئة - لا تصدقوننى، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنى منه بريئة - لتُصدقنّى، فوالله لا أجد لى ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال ﴿ **فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون** ﴾ [يوسف: ١٨] ثم تحولت فاضطجعت على فراشى، والله يعلم أنى حينئذ بريئة وأن الله مبرِّئى ببراءتى. ولكن والله ما كنت أظن أن الله تعالى منزل فى شأني وحيًا يتلى، لشأني فى نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يُبرِّؤني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان - وهو فى يوم شات - من ثقل القول الذى أنزل عليه. قالت:

فسرى عن رسـول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بهـا أن قال: يا عائشة، أمـا الله فقد برأك. قالت فقالت لى أمي: قـومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، فأني لا أحـمدُ إلا الله عز وجـل. قـالت: وأنزل الله تعـالى [النور:١١]: ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم .. ﴾ [النور:١١] العشر الآيات.

ثم أنزل الله تعـالى هذا فى براءتي. قال أبو بـكر الصديق ـ وكـان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره ـ: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذى قال لعائشة ما قال. فأنزل الله تعالى [النور:٢٢] ﴿ ولا يأتل أُولوا الفـضل منكم ـ إلى قوله ـ غفور رحيم ﴾ [النور:٢٢]. قال أبو بكر الصـديق: بلى والله، إنى لأحب أن يغفر الله لي. فـرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليـه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. قالت عـائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنـت جحش عن أمري، فقال لزينب مـاذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سـمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرًا. قالت عـائشة: وهى التى كانت تُسامينى من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع. قالت: وطفقت أختـها حمنة تحارب لها، فـهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب: فهذا الذى بلغني من حديث هؤلاء الرهط. ثم قال عروة: «قالت عائشة: والله إن الرجل الذى قيل له ما قيْل ليقول: سبحان الله، فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط. قالت: ثم قُتل بعد ذلك في سبيل الله»[1].

قلت: أريد به شـر إلا أن الله عز وجل جـعله خيـرًا يقول عـز وجل: ﴿لا تحسبوه شر لكم بل هو خير ... ﴾ [النور: ١١].

وأصحاب هذا هـم المنافقون وإن كان الشيـطان قد أغوى بعض الصحـابة فقد تكلموا فيه.

(١) صحيح البخاري: المغازي، باب ٣٤ حديث الإفك (فتح الباري ٧/ ٤٣١).

وفي هذا القصة فوائد جمة وعبر كثيرة جدًا إلا أنني لم أذكر إلا ثلاثة أو أربعة فقط.

١- فضل عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، وقد أكرمها الله عز وجل فقد نزَّل في براءتها عشرة آية في كتابه العزيز تتلى إلى قيام الساعة.

٢- وعدها الله عز وجل بالمغفرة والجنّة.

٣- تهديد لمن فعل مثل هذا، وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ **يعظكم اللهُ أن تعودوا لمثله إن كنتم مؤمنين** ﴾.

٤- علم الغيب لا يعلمه النبي ﷺ.

* * *

■ القسم الثالث ■

(٣١/أ) آخر أهل النار خروجاً وآخر أهل الجنة دخولاً

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرةً ويكبؤ مرةً، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذى نجانى منك! لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين. فترفع له شجرةٌ فيقول: أىْ رب أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا يارب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها - وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه - فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى فيقول: أى رب أدننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألنى غيرها؟ فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها - وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه - فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليَيْنِ فيقول: أى رب أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها؟ قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها - وربَّه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها - فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أى رب أدخلنيها! فيقول: يا ابن آدم ما يصرينى [1] منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدُّنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئُ منى وأنت ربُّ العالمين. فضحك ابن مسعود

---

(١) معناه ما يقطع مسئلتك منى.

فقال: ألا تسألوني مم أضحكُ؟ فقالوا: ممّ تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحكِ ربّ العالمين حين قال أتستهزئُ منّي وأنت ربُّ العالمين؟ فيقول إنّي لا أستهزئُ منك ولكنّي على ما أشاءُ قادرٌ [1].

وفى رواية له: قال رسول الله ﷺ: إنى لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دُخولاً الجنة: رجلٌ يخرج من النار حبوًا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليها أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مِثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو إن لك عشرة أمثال الدنيا - قال: فيقول أتسخرُ بي - أو أتضحك بي - وأنت الملكُ ؟! قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. قال فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلةً [2].

وفي رواية له - قال في آخره -: فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: يا رب الجنة الجنة! فيقول: عبدى ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها؟ فيقول: يا رب أدخلنى الجنة! قال: فيقول عز وجل: ما يصرينى منك أى عبدى؟ أيرضيك أن أعطيك من الجنة الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أتهزؤ بي وأنت رب العزة؟! قال فضحك عبد الله حتى بدت نواجذه ثم قال: ألا تسألوني لم ضحكت قالوا له: لم ضحكت؟ قال: لضحك رسول الله ﷺ، ثم قال لنا رسول الله ﷺ: ألا تسألونى لم ضحكت قالوا: لم ضحكت يارسول الله؟ قال: لِضحك الرب حين قال: أتهزؤ بي وأنت رب العزة [3].

(١، ٢) صحيح مسلم: الإيمان، باب - ٨٣ - آخر أهل النار خروجًا ١/ ١٧٤ وصحيح البخاري: الرقاق، باب صفة الجنة والنار (فتح البارى ١١/ ٤١٨).

(٣) مسند أحمد ١/ ٣٩٢.

وفي حديث أبي هريرة: قال: قال أناسٌ: يا رسول الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال: « هل تضارُّون في الشمس ليس دونهما سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله . . حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا (١)، فيصب عليهم ماءٌ يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحِبة في حَميل السيل ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبنى (٢) ريحها وأحرقنى ذكاؤُها (٣)، فاصرف وجهى عن النار، فلا يزال يدعو الله فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألنى غيره، فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار. ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربنى إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فلا يزال يدعو، فيقول: لعلى إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره، فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره، فيعطى الله ما شاء الله من عهودٍ ومواثيق أن لا يسأله غيره (٤) فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: ربِّ أدخلنى الجنة. ثم يقول: أوليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا رب لا تجعلنى أشقى خلقك. فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك

---

(١) المحشى : احتراق الجلد وظهور العظم.

(٢) قال الخطابي: قشبه الدخان إذا ملأ خياشيمه وأخذ يكظمه. وقال النووي: معني قشبني: سمني وآذاني وأهلكني.

(٣) أي كثر لهبها واشتد اشتعالها ووهجها.

(٤) معناه: يارب قد اعطيت العهد والميثاق ولكن تفكرت في كرمك ورحمتك فسألت. قاله الطيبى، فتح البارى ١١/ ٤٦٠.

منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تمنّ من كذا؛ فيتمنى، ثم يقال له: تمنّ من كذا؛ فيتمنى، حتى تنقطع به الأماني، فيقول له: هذا لك ومثله معه، قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخرُ أهل الجنة دخولاً [1].

* * *

(٣١ / ب) ما جاء فيمن يعرض عليه صغار ذنوبه

عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ يُؤْتى بالرّجُلِ يَومَ القيامة فيُقالُ اعْرضُوا عَليهِ صِغَارَ ذُنُوبه. قال : فـتُعْرضُ عَلَيْه وَ يَخْبأ عنهُ كِبارها، فيُقالُ: عملتَ يوم كذا وكَذا،كذا وكذَا، وهو مقر لا يُنكر وهو مُشْفق من الكبارِ، فيُقال: اعطوه مكانَ كُل سيئةٍ حَسنةً. قال: فـيقولُ إن لي ذُنوبًا ما أراها قال: قال أبوذر: فلقد رأيتُ رسول الله ، ضحك حتى بدتْ نواجِذُهُ [2].

وزاد في رواية قال: فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة [3].

* * *

(١) صحيح البخارى: الرقاق، باب ٥٢ الصراط جسر جهنم (فتح البارى ١١/ ٤٤٥).

(٢) مسند أحمد : ٥ / ١٥٧ وانظر صحيح مسلم: الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١ / ١٧٧ .

(٣) مسند أحمد : ٥ / ١٧٠ .

(٣٢) ما جاء فيمن يريد أن يزرع في الجنّة

عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن النبي ﷺ كـان يومًا يُحدثُ وعنده رجلٌ من أهل الباديةِ ـ: أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربّه في الزرع، فـقال: أولستَ فيما شـئتَ؟ قال: بلى ولكنى أحبُ أن أزرع! فـأسـرع فتـبادر الطرف نبـاته واستـواؤه واستـحصاؤه وتكويره أمـثال الجبال، فـيقول الله تعـالى: دونك يا ابن آدم فإنه لا يُشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قُرشيا أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبى ﷺ (١).

في هذا الحديث من الفوائد :

- أن كل ما اشتهى في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها .
- وصف الناس بغالب عاداتهم.
- إن النفوس جبلت على الاستكثار من الدنيا.
- الإخبار عن الأمر المحقق الآتى بلفظ الماضي.

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: التوحيد، باب – ٣٨ – كلام الرب مع أهل الجنة فتح البارى : ١٣ / ٤٨٧ والحرث والمزارعة باب ٢٠ فتح البارى ٥ / ٢٧ .

(٣٣) هرب إبليس من عمر رضي الله عنه

عن محمد بن سعد عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش [١]، يسألنه ويستكثرنه[٢]. عاليةً أصواتهنّ على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب فأذن له النبى ﷺ فدخل والنبى ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سِنك يا رسول الله بأبى أنت وأمي! فقال: عجبتُ من هؤلاء اللآتي كنّ عندي لما سمعن صوتكَ تبادرن الحجاب. فقال: أنت أحقّ أن يهبن يا رسول الله ﷺ، ثم أقبل عليهن فقال: يا عدُوّات أنفُسهِن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله ﷺ فقُلن: إنك أفظ وأغلظ مِن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطانُ سالكًا فجًا [٣] الا سلك فجًا غير فجك»[٤].

وعن سديسة مولاة حفصة عن حفصة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وقد نذرتُ أن أزفن بالدف إن قدم من مكة، فبينا أنا كذلك إذ استأذن عمر فانطلقت

---

(١) هنَ من أزواجه ﷺ ويحتمل أن يكون معهن من غيرهن لكن قرينة قوله « يستكثرنه » يؤيد الأول. ومن أزواجه القرشيات في المدينة هن سودة بنت زمعة العامرية القرشية وعائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وزينب بنت جحش وأم حبيبة بنت أبى سفيان وأم سلمة هند بنت أبى أمية حذيفة المخزومية .

(٢) المراد أنهن يطلبن منه ﷺ أكثر مما يعطيهن.

(٣) أى طريقًا واسعًا.

(٤) صحيح البخارى: الأدب، باب - ٦٨ - التبسم والضحك (فتح البارى ١٠ / ٥٠٢) وفضائل الصحابة، مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشى العدوى رضى الله عنه (فتح البارى ٧ / ٤١) .

بالدف إلى جانب البيت فغطيته بكساء فقلتُ: أى نبى الله أنت أحق أن تهاب! قال: إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه[1] .

قال الحافظ ابن حجر [2]. وهذا دال على صلابته رضي الله عنه في الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض. وقال النووى : الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه. وقال القاضى: يحتمل أن يكون ذلك على سبيل ضرب المثل وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان، والأول أولى.

قلتُ : وفضائل الفاروق رضى الله عنه كثيرة جدًا. ومن ذلك ما أخرجه الطبراني[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نظر رسول الله ﷺ ذات يوم إلى عمر بن الخطاب وتبسم إليه فقال: يا ابن الخطاب مما تبسمت إليك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: إن الله عز وجل باهى بأهل عرفة عامة وباهى بك خاصة.

* * *

(١) رواه الطبرانى في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٩ / ٧٠ .

(٢) فتح البارى : ٧ / ٤٧ .

(٣) مجمع الزوائد : ٩ / ٧٠ وفي إسناده رشدين بن سعد مختلف في الاحتجاج به .

(٣٤) ضحكه صلى الله عليه وسلم على إبليس في مزدلفة

عن عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السّلمى أن أباه أخبره عن أبيه: أن النبى ﷺ دعا لأمته عشيةَ عرفة بالمغفرة فأجيبَ : إنى قد غفرتُ لهم ما خلا الظّالمَ! فإنى آخذُ للمظلوم منهُ. قال: أى ربِّ ! إن شئتَ أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم! فلم يجب عشيتَهُ. فلّما أصبح بالمزدلفة أعادَ الدُّعاء فأُجيب إلى ما سأل، قال: فضحك رسول الله ﷺ ـ أو قال تبسّم ـ. فقال له أبو بكر وعمر بأبى أنتَ وأمي! انَ هذه لساعةٌ ما كنتَ تضحكُ فيها فما الذى أضْحكك؟ أضْحَكَ الله سنّكَ ! قالَ: « إنّ عدوّ الله إبليس لما علم أن الله عز وجل قد استجابَ دُعائي وغفر لأمتى أخذ التُّراب فجعل يحثُوهُ على رأسِهِ ويدعو بالويل والثبور فأضحكنى ما رأيتُ من جزَعِهِ »[١].

تنبيه : « هذا إسناد ضعيف عبد الله بن كنانة قال البخاري: لم يصح حديثه انتهى ولم أر من تكلم فيه بجرح ولا توثيق، روى أبو داود بعضه عن عيسى بن إبراهيم التركي وأبو الوليد عن عبد القاهر بن السري به . رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث العباس، ورواه البيهقي في سننه الكبرى من طريق أبى داود الطيالسى عن عبد القاهر فذكره بالإسناد والمتن جميعه، ورواه أبو يعلى الموصلى

(١) سنن ابن ماجة : المناسك: باب - ٥٦ - الدعاء بعرفة - ٢ / ١٠٠٢ .

في مسنده عن إبراهيم بن الحجاج بن السنامي حدثنا عبد القاهر بن السري فذكره وله شاهد من حديث عائشة رواه مسلم وغيره [1]. قاله البوصيرى.

قلتُ: كل من أخرج هذا الحديث من أبى داود الطيالسى وأحمد والبيهقى وأبو يعلى كما ذكر البوصيرى كلهم من طريق عبد الله بن كنانة وهو الذى قال البخاري فيه: لم يصح حديثه.

وأما الشاهد من حديث عائشة رضى الله عنها فهو لم يشهد لكامله لأن فيه: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء. أخرجه مسلم والنسائى وابن ماجة وابن خزيمة والحاكم . ولم يكن فيه ذكر للمغفرة من مزدلفة .

وقد عارضه حديث عائشة الآخر الذى أخرجه الامام أحمد في مسنده ٦ / ٢٤٠ قالت: قال رسول الله ﷺ: الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله عز وجل، فأما الديوان الذى لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عز وجل: ﴿ من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾. وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا، القصاص لا محالة. ورمز له السيوطى بالحسن كما في فيض القدير ٣ / ٥٥٢ وضعفه الألبانى في ضعيف الجامع الصغير ٣ / ١٦٢ .

قال الطيبى: إنما قال في القرينة الأولى لا يغفر الله ليدل على أن الشرك لا يغفر أصلاً، وفي الثالثة لا يترك ليؤذن بأن حق الغير لا يهمل قطعًا إما بأن يقتص من خصمه أو يرضيه الله عنه .

(١) مصباح الزجاجة: ٣ / ٢٠٣ .

(٣٥) سقوط الذنوب بالوضوء

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه: أنه دعـا بماء فتوضأ ومضمض واستنشق، ثم غسل وجهـه ثلاثا وذراعيه ثلاثا ومسح برأسـه وظهر قدميه، ثم ضـحك! فقال لأصحابه: ألا تسألوني عما أضحكنى؟ فقالوا: مم ضحكتَ يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتُ رسـول الله ﷺ دعا بماء قـريبًا من هذه البـقعـة فتـوضأ كـما توضـأتُ، ثم ضحك، فـقال: ألا تسألوني مـا أضحكنى؟ فـقالوا: ما أضـحكك يا رسول الله؟ فقـال: إن العبد إذا دعا بوَضـوء فغسل وجـهه حط الله عز وجل عنه كل خطيـئة أصابها بوجهـه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، وإن مـسح برأسه كان كذلك، وإذا طهر قدميه كان كذلك [١].

قال الهيثمى فيه: « رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات » [٢].

قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم [٣]،وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: « إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغـسل وجهه خرج من وجهه كُلّ خطيئـة نظر إليها بعينيـه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ فإذا غـسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتهـا يداه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئـة مشتها رجلاه مع الماء ـ أو مع آخر قطر المـاء ـ حتى يخرج نقيًّا من الذنوب» .

* * *

(١) مسند أحمد : ١ / ٥٨ .

(٢) مجمع الزوائد : ٢ / ٢٢٤ .

(٣) صحيح مسلم : الطهارة ، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء ١ / ٢١٥.

(٣٦) إذا قال العبد: « ربِّ اغفر لي ذنوبي »

عن على بن ربيعـة قال: شهدتُ عليًا أتى بـدابة ليركبهـا فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله، ثم قال: ﴿ **سبحان الذى سخر لنا هذه وما كنا له مقرنين** ﴾ ثم قال: الحمـد لله ثلاثا الله اكبر ـ ثلاثا ـ سبحانك إنى قد ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك! فقلتُ: من أى شيء ضـحكت يا أمير المؤمنين؟ قـال: رأيتُ رسول الله ﷺ صنع كما صـنعتُ ثم ضحك، فقلت: من أى شيء ضحكت يـا رسول الله؟ قال: « إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك».

* * *

(١) جامع الترمذي: الدعوات، باب ما ذكر في دعوة المسافر (تحفة الأحوذى ٤ / ٢٤٤).

(٣٧) ما ذكر في ركوب البحر

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخلُ على أمّ حرام بنت ملحان فتطعمهُ ـ وكانتْ أمّ حرامٍ تحت عبادة بن الصامت ـ فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلتْ تَفْلي رأسهُ، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك! قالت: فقلتُ: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: « ناسٌ من أمّتى عُرِضوا عليّ غُزاةً في سبيل الله يركبون ثبج[1] هذا البحر ملوكًا على الأسرّة ـ أو مثل الملوك على الأسرة [2] ». ـ شك إسحاق ـ قالت : فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك! فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: « ناس من أمتى عُرضوا علّى غزاة في سبيل الله . . . » كما قال في الأول ـ قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم. قال: « أنت من الأولين». فركبت البحر [3] في زمن معاوية بن أبي سفيان فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت [4].

* ضحكه ﷺ كان إعجابا بهم وفرحًا لما رأى لهم من المنزلة الرفيعة.

---

(١) الثبج : بفتح المثلثة والموحدة ثم جيم، ظهر الشيء .

(٢) قال ابن عبد البر : أراد ـ والله اعلم ـ أنه رأى الغزاة في البحر من أمته ملوكًا على الأسرة في الجنة ورؤياه وحى، وقد قال الله تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿ على سرر متقابلين ﴾ وقال ﴿ على الأرائك متكئون ﴾. . الفتح ١١ / ٧٤ .

(٣) كان ذلك في سنة ثمان وعشرين ، وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ومعاوية يومئذ أمير الشام، وظاهر سياق الخبر يوهم أن ذلك كان في خلافته وليس كذلك. راجع الفتح ١١ / ٧٥ ـ وهي غزوة الروم ـ أهل قبرس.

(٤) صحيح البخارى : الجهاد، باب – ٣ – الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء (فتح البارى : ٦ / ١٠).

تنبيه: قال ابن عبد البر: أظن أن أم حرام أرضعت رسول الله ﷺ أو أختها أم سُليم فصارت كل منهما أمه أو خـالته من الرضاعة فلذلك كان ينام عندها ثم ساق بسنده عن ابن وهب: «أم حـرام إحدى خالات النبيﷺ» وقـال: أيهما كـان فهي محرم له. وقال غيره: انما كانت خالة لأبيه أو جده عبد المطلب. وقال ابن الجوزي سمعت بعض الحفاظ يقول: كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ.

وقال غيره: بل كان النبي ﷺ معصومًا يملك أربه عن زوجته فكيف عن غيرها مما هو المنزه عنه، وهو المبرأ عن كل فعل قبيح وقول رفث فيكون ذلك من خصائصه.

- وثبت في الصحـيح (الجهاد، باب فـضل من جهز غـازيا): أنه ﷺ كان لا يدخل على أحد مـن النساء إلا على أزواجه، إلا على أم سليـم، فقيل له فـقال: أرحمها قُتل أخوها معي، يعني حرام بن ملحان وكان قد قتل يوم بـئر معونة. وأم حرام وأم سليم أخـتان كانتـا في دار واحدة كل منهـما في بيت من تلـك الدار، وحرام أخوهما معًا فالعلة مشتركة فـيهما، وقد انضاف إلى العلة المذكورة كون أنس خادم النبي ﷺ وقد جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه ورفع الحشمة التي تقع بين الأجانب عنهم، ثم قال الدمياطي: على أنه ليس في الحديث ما يدل على الخلوة بأم حرام ولعل ذلـك كان مع ولد أو خادم أو زوج أو تابع، قـال الحافظ: وهو احتمال قوي لكنه لا يدفع الإشكال من أصله لبـقاء الملامسة في تفلية الرأس وكذا النوم في الحجر وأحسن الأجوبة دعوى الخصوصية [1].

وعن ابن عـباس رضي الله عنهـما : قـال بينا رسـول الله ﷺ في بيت بعض نسـائه إذ وضع رأسه فنام فـضحك في منامـه، فلما اسـتيـقظ قالت له امـرأة من نسائه: لقـد ضحكت في منامك فمـا أضحكك؟ قال: أعـجب من ناس من أمتي يركبون هذا البحر هول العدو يجاهدون في سبيل الله فذكر لهم خيرًا كثيرًا [2].

---

(١) فتح الباري : ١١ / ٧٨ .　　(٢) مسند أحمد : ١ / ٢٩٩ .

(٣٨) ما جاء في خسف الجيش بالبيداء

عن عـائشة أم المـؤمنين رضى الله عنهـا قالت: بينـما رسـول الله ﷺ نائم إذ ضحك في منامه ثم اسـتيقظ، فقلت: يا رسـول الله مم ضحكت؟ قال :إن إناسًا من أمتى يؤمون هذا الـبيت لرجل من قريش قد استـعاذ بالحرم فلما بلغـوا البيداء خسف بهم، مصادرهم شتى يبعثهم الله على نياتهم. قلتُ: وكيف يبعثهم الله على نياتهم ومـصادرهم شتى؟! قال : جـمعهم الطريق، منهم المسـتبصر وابن السـبيل والمجبور يهلكون مهلكًا واحدًا ويصدرون مصادر شتى [١].

* * *

(١) مسند أحمد : ٦ / ١٠٥ .

(٣٩) أقوام يُقادون إلى الجنة في السلاسل

ـ عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: ضحك رسول الله ﷺ فقلنا: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «عجبت من قوم يقادون في السلاسل إلى الجنة» (١).

– وعن سهيل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال: كنتُ مع النبى ﷺ بالخندق فأخذ الكرزين فحفر به، فصادف حجرًا فضحك ! قيل: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ضحكتُ من ناس يؤتى بهم من قبل المشرق في النكول يساقون إلي الجنة» (٢).

* * *

(١) مسند أحمد : ٥ / ٢٤٩ .

(٢) مسند أحمد : ٥ / ٣٣٨ .

(٤٠) أمر المؤمن كله خير

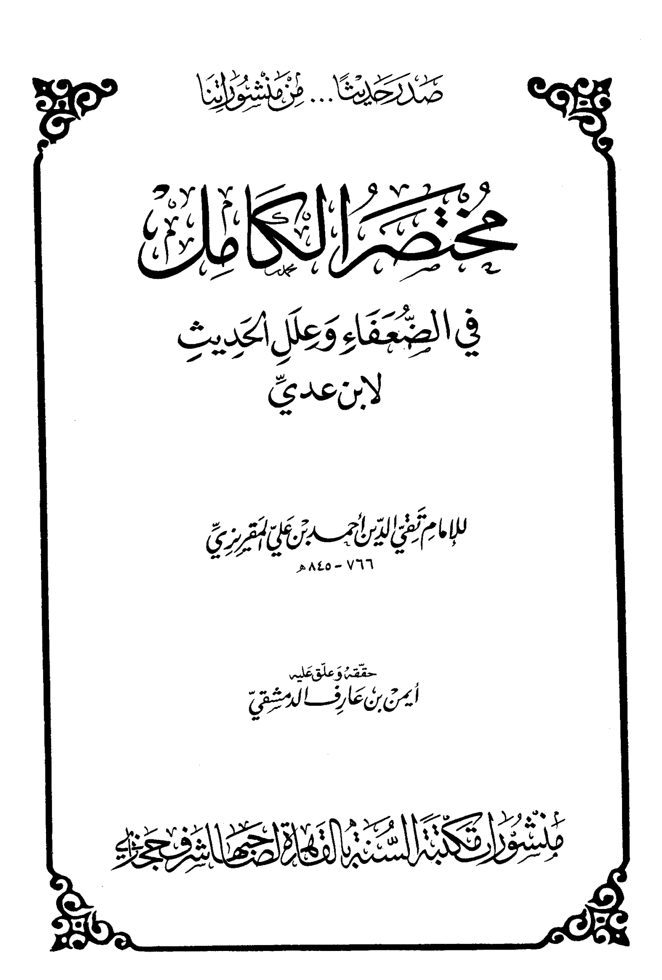
عن صهيب رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ قاعد مع أصحابه إذ ضحك! فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا: يا رسول الله ومم تضحك؟ قال: «عجبتُ لأمر المؤمن إن أمره كله خير: إن أصابه ما يحب حمد الله وكان له خير، وإن أصابه ما يكره فصبر كان له خير، وليس كل أحد أمره كله له خير إلا المؤمن»[١].

* * *

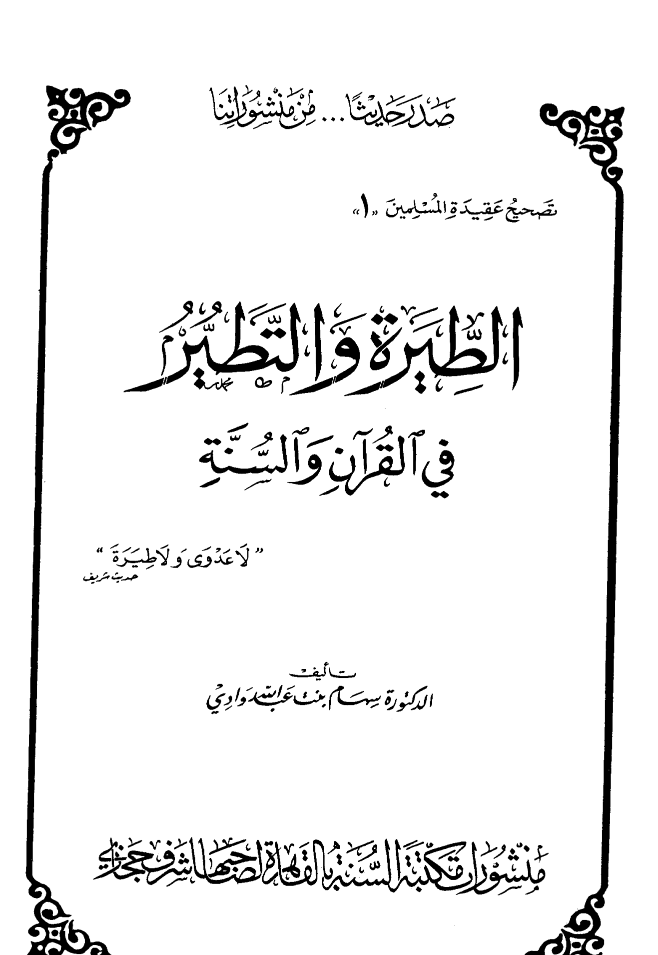
(١) مسند أحمد : ٦ / ١٦ .

المحتوى

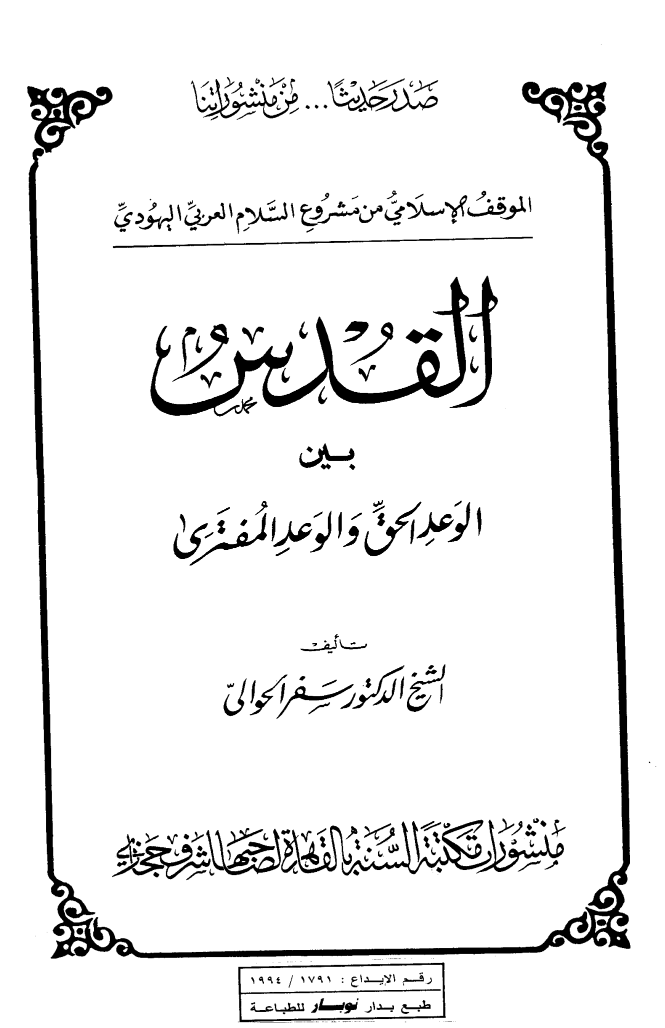
* * *



صدر حديثاً... من منشوراتنا
مختصر الكامل
في الضعفاء وعلل الحديث
لابن عدي
للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
٧٦٦ - ٨٤٥هـ
حققه وعلق عليه
أيمن بن عارف الدمشقي
منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها شرف حجازي



صدر حديثاً ... من منشوراتنا
تصحيح عقيدة المسلمين «١»
الطيرة والتطير
في القرآن والسنة
"لا عدوى ولا طيرة"
حديث شريف
تأليف
الدكتورة سهام بنت عبد الله وادي
منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها أشرف حجازي


صدر حديثاً ... من منشوراتنا
الموقف الإسلاميّ من مشروع السلام العربيّ اليهوديّ
القدس
بين
الوعد الحقّ والوعد المفترى
تأليف
الشيخ الدكتور سفر الحوالي
منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها شرف حجازي
رقم الايداع : ١٧٩١ / ١٩٩٤
طبع بدار نوبار للطباعة